فيلم اجنبى

رواية عن قصة حقيقية

د محمد السلكاوى

اهداء إلى كل من سيعيش أحداث الرواية كأنه واحد
من أبطالها...

...

اهداء إليك أيها القارئ.

تم تغيير أسماء الشخصيات الحقيقية لكى لا يلحق ضرر بأى منها أو بالكاتب .

الرواية هى الطريقة التى نُخلّد بها أحبابنا .. أحلام مستغانمى

الفصل الأول

مدينة بنها ، يناير 2013 ...

دخل يوسف البيت ، فلم يجد أحدا ، فاتصل بـ اخيه الأصغر (هانى) ...

- ايوه يا هانى ، انتوا فين يابنى ؟

- احنا روحنا مع ماما تعمل حُجامة .

- طب فين الاكل بتاعى ؟

- ماما سيباهولك فى الفُرن .

- ماشى ، سلام

(يوسف : شاب فى بداية العشرينات ، متوسط الطول ، يملك جسم رياضى تتناسق به العضلات مع بعضها فى انسيابية شديدة ، له بشرة بيضاء لم تُجهد بـ اى أعمال فى الشمس من قبل ، و عيون زرقاء و شعر أصفر ،

شديد الإهتمام بملابسه و بهيئته أمام الناس ، و هو ابن لطبيب جراح كبير و له أخ واحد فقط و هو هانى)

سعادة بالغة حلت بـ يوسف بسبب خبر الحجامة ، فهى تعنى فراغ البيت منهم جميعاً لمدة لا تقل عن ثلاث ساعات ، فيحوِل فيهم المنزل الى منتجع استجمامى كامل ، فبعد تناول طعامه و إحضار الشاى و السجائر ، أشعل واحدة ، و أشعل معها شمعة معطرة بعدما اطفأ كل الأنوار فى غرفته الصغيرة ، التى تحوى سرير عند نهايته مكتب صغير للمذاكرة ، و أمام المكتب كرسى دوّار مُغطى بالجلد الأسود و يوجد أمام الحائط المواجِه لباب الغرفة دولاب متوسط الحجم به العديد من الأدراج فى أسفلُه .

أمسك بكشكوله الجديد الذى أعطى له اسم (سارة) و فتحه و بدأ يكتب ...

((اليوم قررت أن ادون حكايتى معكِ فى هذا الكشكول الذى اشتريته خصيصاً لكِ و كتبت عليه اسمك ، من بعد فراق دام أكثر من خمسة شهور ، أعرف اننى حكيّت لكِ جزء من هذه التفاصيل عندما كنا معاً ، و لكن يوجد الكثير لا تعرفيه ، و ستعرفيه عندما تقرئى هذا

الكشكول الذى كتبت على غلافه الخارجى وصيتى و هى ان يصل إليكِ دون ان يفتحه أحد .

عرفتك أول مرة عندما كنا فى درس اللغة العربية معاً ، و كأننى كنت أمشى سارحاً فى غفلة و وقعت فجأة فى حفرة عميقة ، نعم لقد وقعت فى حبك من النظرة الأولى ، و لكنى لم أصدق نفسى ، فكيف لـ (يوسف سمير) أن يحب ! ، أو أن يقع بهذه السهولة ! ، قاومت نفسى كثيراً ، فاستطعت التغلب على عقلى و لكنى لم استطع التغلب على قلبى و احلامى ، فالقلب دائماً ما يتلهف لأى شئ يذكرُه بأحبائه ، و أحلامنا دائماً خارج نطاق السيطرة ! ، ، قاومت و قاومت الى ان خارت قواى ، و لم أعد بقادر على تكذيب قلبى ، و اخيراً اعترفت لنفسى ذات يوم و أنا واقف امام المرآة ... اننى أحبك .

الغريب ان كل ذلك حدث بعدما رأيتك ثلاث مرات فقط ! ، و الأغرب انكِ لستِ بفتاة جميلة ، فلونِك الخمرى و عيونك الضيقة و قُصر قامتك جعلوا منكِ فتاة متواضعة الجمال ، فـ انتى بالنسبة لمن عرفتهم من قبل فى الجمال .. لا تساوى شئ !

لم اكن مصدقاً لما يحدُث ، فقد وقعت فى مصيبتى و عرفت اننى احبك ، لكن كيف حلت بى الجرأة لأعترف امام نفسى بذلك ، فدائما ما كنت أكذب نفسى و قلبى

فى مثل هذه الأمور و اكتشف اننى كنت على حق فعلا و لم أكذبهما هباءً ، فلم تؤثر فيّ مراهقة أو أوهام ، كانت حياتى كلها معتمدة على العلاقات الهشة الغالب عليها نوع (الحب من طرف واحد) و بالطبع تكون الفتاة هى ذلك الطرف ، مرت الأيام و كنت أراكِ مرتين فى الأسبوع ، و كأننى ذاهب الى الجنة بما فيها ، برغم ان المدرس كان فى قمة الغباء و العنجهية و العته ، إلا اننى احببت ذلك الدرس و تمنيت لو كانت حصته يوميه .

فكرت حينها ان أحاول التواصل معكِ ، إلا اننى وجدت الرفض نابع من داخلى ، رفض لكونى لا أريدك مثل البقية ، لا أريد لكى الانضمام لقائمة المظاليم الخاصة بـ (يوسف سمير) ، انتِ أغلى و أرقى من ذلك ، فلم يكن احترامك و أدبك الذى شهد بهم الجميع هو المانع لى اطلاقاً ، فأنا واجهت مثلك و أكثر منكِ بكثير ، و تغلبت و خرجت منتصراً من صراع العلاقات السريعة الهشة ، التى يتسابق فيها الطرفان فى جرح الآخر بكل ما أوتى من ذكاء و خبرات فى مثل هذه المجالات القذرة ، ليزيد من أعداد المظاليم فى قائمته ، ليجتمع بـ أصدقاءه على المقاهى و يسرد لهم انجازاته فى جرح القلوب و حرق الدماء و الفتك بالمشاعر .

و انتهت الثانوية العامة بكل ما حملته من حلو و مر ، و دخلت كلية الحاسبات و المعلومات بجامعة بنها ، تلك

التى تمنيتها منذ عرفت جهاز الكمبيوتر ، فـ أنا واثق اننى سأكون مبدع فى هذا المجال ، فلم يهمنى مجموعى الكبير الذى حصلت عليه ، فقد عارضت الدنيا كلها و رفضت دخول كلية الهندسة ، فـ أنا لم أتعود ان اتلقى الأوامر أو اسير بعقل غيرى و اختياراته .

و لكن ، انقطعت اخبارك تماماً فى هذه الفترة ، و لم اعرف عنكِ شيئاً ، ولا حتى اعرف اى كلية دخلتِ ، كل ما علمته من بعض صديقاتك المقربات فى فترة الثانوى انكِ تريدين الهندسة ، و مرت السنة الأولى و انتهت بعدها الثانية و لم اسمع عنكِ شيئا و لم احاول ان ابحث او ان اسمع ولا اعرف لماذا !! ....))

رنة هاتفه قطعت تسلسل افكاره و كتاباتُه ، إنها بتول ...

(بتول : فتاة ذات تضاريس صاروخية برغم قِصر قامتها ، ذات بشرة بيضاء و شعر أصفر طويل يصل الى نهاية ظهرها ، و عيونها واسعة سوداء لامعة تشع منها نضارة و حيوية الشباب من فرط جمالها ، لها أنف و فم صغيران و ملامحها بشكل عام شديدة التناسق كملكات الجمال بل و أفضل ، و هى من نفس بلد يوسف)

- إزيك يا توته ، عاملة إيه ؟

- تمام ، أنا نازلة مع ريهام صاحبتى نجيب حاجات من الشارع و لما آجى هكلمك ، عشان عايزة أحكيلك حاجة على أحمد .

- أحمد أخوكى ولا حبيبك سابقا ؟ ههههههههههه .

- لا سابقا يا خِفه ... يلا خلى بالك من نفسك .

- ماشى يا روح خالتِك ، يلا باى

- باى .

مكالمة بتول اقحمتها اجبارياً فى حقيبة ذكريات يوسف التى فتحها اليوم ، فتذكر كيف تعرف عليها عندما انتهى موضوع سارة مباشرة ، فقد كان تعارفهما الكترونيا عن طريق احد مواقع التواصل الاجتماعى ، فعرف عنها كل شئ و هى كذلك ، فـ حكى لها عن سارة ، و عن جرحه العميق ، و انه قرر ألا يعيد تجربة الحب مرة أخرى ، و كان ذلك فى بداية اجازة نصف العام .

ارسلت له صورتها لكى يتعرف عليها ، و لكنه لم يتذكر انه رآها قبل ذلك بالرغم انها معه فى نفس الكلية لكنها تصغره بعامين ، و حتى الآن لم يرها فى الحقيقة و ذلك لان اجازة نصف العام لم تنتهى بعد .

لكن كل ذلك لم يمنعهم من تكوين صداقة مدعمة بالجنس ، فهذه لـ يوسف افضل انواع العلاقات ، فهى تسد خانة الاحتياج الجنسى مع وجود مميزات أخرى مثل عدم وجود التزامات ، عدم وجود قيود ، فالحرية تسيطر على الموقف بأكمله ، فلا يوجد عدد محدد من المكالمات ذات مدد محددة يجب ان تلتزم بها يومياً ، ولا يوجد فيها جملة " تعالى اخطبنى " ، ولا يوجد ملل السؤال الروتينى " مردتش ليه " ، ولا الشجارات المعتادة " كنت بتكلم مين " ، ولا المواقف السخيفة " كنت واقف معاها ليه " ، و الأهم من كل ذلك أنك تعيش حياتك الطبيعية مع إظهار ردود الأفعال الطبيعية بمعنى أنك لا تحتاج إلى تمثيل الغيرة و اللهفة و الشوق و غيرُة من المشاعر شديدة اللزوجة و التى تفسد العلاقة الجنسية تبعا لمفهوم يوسف ، فهذا النوع يحكمه الجنس فقط ، و الجنس يؤدى بالرجل الى التحكم فى كل شئ دون التقيُّد بأى شئ ! ، فـ يوسف هو المتحكم فى تصرفات الطرف الآخر و كلامه و نظراته و همساته و لمساته و حتى احلامه احيانا ، فـ ممارسة المرأة للجنس مع رجل فى علاقة غير شرعية يجعلها خائفة من اى شئ ، تحتاجه فى كل شئ ، ترتعد لمجرد التفكير فى الافتراق عنه ، يكون لها كل شئ بالرغم انها لا تساوى فى نظره اى شئ - خارج حدود

السرير - ، فمن الغبى الذى يجد كل الرفاهية و المتعة مع الحرية و يرفض !!

وقف يوسف بعد المكالمة أمام المرآة يتأمل وجهُه ، ممتلئاً بالغرور ، يشعر و كأن الكون كله يدور من حوله ، فهو كالشمس تدور من حولها كل الكواكب ، فليأتى من يأتى و يرحل من يرحل و هو ثابت لا يهتز لـ أى شخص .. باستثناء سارة !!

كان يُبعثر دخانه فى جميع انحاء الغرفة بحركات سينمائية ، حتى اطفاء سيجارته بمجرد سماعه لصوت سيارة ابيه ، و قام بتبديل ملابسه ، و دلف المقهى المجاور للمنزل حيث ينتظر (سيف) .

القى يوسف السلام على صديقة ، و سحب كرسى ثم طلب قهوة دُبل و (شيشة) ، و بدأ كل منهما يتجاذب اطراف الحديث ، فى جلسة روتينية لا يقطع مللها إلا سيجارة حشيش ملفوفة بحرفيّة ، و زجاجة نبيذ احمر حلو ، فما قيمة الحياة بدون الحشيش و النبيذ ، بل كيف للفلاسفة و العلماء ان اصبحوا هكذا بدون الحشيش و النبيذ ، فمن يعلم لذة اختلاط طعم النبيذ بدخان الحشيش الافغانى ، فقد ملك الدنيا بما فيها ،فـ ليت بلدنا بها نهر من النبيذ بدلا من النيل ، ولكن ما من لذة متوفرة دائماً ، فلو توافرت دائماً لفقدت متعتها و هيبتها .

(سيف : طالب فى كلية الألسن بجامعة القاهرة ، فى نفس سن يوسف ، طويل القامة و شديد النحافة ، له بشرة قمحية اللون و عيون سوداء ، و شعر مجعد بنفس لون العيون .

كائن مستهتر و عشوائى ، و لا يتحمل أى اعباء من اى نوع ، يتعايش على المخدرات و العلاقات الجنسية ، و لكنه احيانا يُصدر احكاماً صحيحة فى بعض الأمور ، بالإضافة الى انه الصديق الأقرب الى يوسف)

خرج يوسف من المقهى متجهاً للمنزل ، و استقبل مكالمة من بتول بعدما عادت للمنزل ، حكت له عن (أحمد) حبيبها السابق الذى اصبح سابق لأنها اكتشفت انه يمارس الجنس مع بنات اخريات ، و تأكدت من ذلك عندما ساعدتها (ريهام) اخته و صديقتها فى نفس الوقت على ايجاد دلائل مادية على افعاله ، مثل قطع من ملابس داخلية لبنات عليها امضاءات منه و ما شابه ذلك ، و الآن جاء احمد ليتقدم لخطبتها ، و لكنها رفضت ...

- إنتى عبيطة يا بت ! ، ماهو جه إتقدملك رسمى أهو !

- لا يا يوسف أنا مبقتش أطيقه ، دا حيوان ، دا كان هيخبطنى بالعربية قاصد و انا ماشية فى الشارع إمبارح !

- لا طبعا هتلاقية مش قاصد ، يعنى جاى يتقدملك و قبلها يخبطك بالعربية ! ، بطلى هبل .

- و الله العظيم كان هيخبطنى قاصد ، و كان معايا ريهام اخته كمان ! ، يابنى دا بيشرب مخدرات !

- طب ما انا كنت بشرب و بطلت (كذبة بسيطة تكفيه شر صداع ناتج عن مشاجرة طويلة) .

- انتا حاجة تانية يا جوو ، انتا هتساوى نفسك بالمعتوه ده !

- مش حبيبك دا يا بنتى ؟

- كان يا يوسف ، كان ، انا مستحيل احبه تانى ولا ابص له .

- ليه بس ؟

- فكك بقى من أُمه يا جوو ، مش يلا بقى؟!

- أه طبعا يا مزه أنا طالع البيت أهو .

- ماشى .

- طب قوليلى بقى على ما اطلع ، انتى حاطة روج أحمر يا مُزه ؟

- طبعاً ، و عملالك ديل حصان كمان ، عشان تشد منه براحتك .

(اشِدّك مِنُه وانا بكلمك فى التليفون يا هبلة ! .. قالها يوسف فى سِرُه)

- حلو اوى ، و أنا دخلت الأوضة بتاعتى أهو ، إقلعى بقى على ما أقفل الباب .

و بدأت حلقة المصارعة الهاتفية اليومية تتدرج فى مراحلها المعتادة ، ابتداءً بالتعرى و خلع الملابس كلها ، ثم وضع الأيادى فى كل المناطق المناسبة لمثل هذه المواقف ، ثم تحريك الأيادى بسرعات معينة ، ثم افراغ الطاقات البيضاء اللزجة !

يمر بعد انتهاء الجنس عدة مراحل خاصة بعد أول مرة ، فبعد الوصول لأقصى استمتاع ، يبدأ منحنى السعادة فى الهبوط حتى يصل لأشد درجات التعاسة ، حيث يصل الى البكاء ندماً على هذه الفعلة الدنيئة ، التى لن تتكرر بعدها .. و لكن الحقيقة انها تتكرر كلما كان مُتاحاً !!

و لكن بمرور الوقت و تعدد مرات ممارسة الجنس ، يُنسى الحزن و البكاء و يتحجر القلب ، كل هذا دون النظر الى تلك الساعات المتتالية من القَسَمَ بأنها لم

يسبق لها و أن مارست الجنس من قبل ، غَبيةٌ هى لا تعرف ان مثل هذه الأشياء لا تُهم يوسف و لا تُهم أى رجل فى مكانة ، ليت كل نساء العالم مارسوا الجنس فى مرتهن الأولى مع رجُل و قرروا ان يمارسوه بقية حياتهم مع يوسف ، فمن يجد المتعة الرخيصة شبه المجانية و يرفضها !!!

بالنسبة ليوسف فان المتعة الجنسية دائماً لها الصدارة بين كل المُتع الاخرى ، فترتيب الأولويات له مختلف عن باقى الناس ، ففى المقدمة يكون الجنس ، يليه الطعام و الشراب ، ثم تأتى باقى الأشياء ، أو لا تأتى .. لا يُهم !

جلس يوسف شبه عارى بعدما انهى المكالمة مع بتول يُفكر فى كلامها ، فكيف لهذه الغبية ان ترفض حبيبها سواء كان سابقاً ام لا ، لقد قام بواجبه و تقدم لخطبتها ، ماذا يجب ان يفعل ليرضيها ، و ماذا تريد هى منه اكثر من ذلك ، و كيف تقبل على نفسها ان تمارس الجنس مع يوسف ، و تفارق أحمد لأنه مارسه مع اخريات ! ، حتى عندما سألها أجابت أنها لم تفعل هذا الا بعد ان انفصلت عنه ، أيكون هذا عذراً لها ، أهى تعاقبه أم تعاقب نفسها على فشل قصة الحب الركيكة ! ، اهو حلال لها و حرام عليه ! ، بأى عقل تفكر هذه الحمقاء !!

استطاع يوسف الانتقال من التفكير فى بتول الى الرجوع لـ سارة بعدما اغتسل و ارتدى ملابسه ، فـ احضر كشكولها و القلم و كوب كبير من القهوة الباردة المفضلة لديه ، ثم اكمل كتابته بعد إشعال سيجارته مع الشموع المعطرة ...

((مع بداية السنة الثالثة ، و فى أول يوم دراسى فى الكلية ، فوجئت بفتاة تشبهك تماماً ، بل انها توأمك ان صح الأمر ، فوقفت أمامها جاحظ العينين مندهش احمل كل معانى التعجب و الاعجاب من مدى التشابه الشديد بينكما ، بل أكاد ألا اجد أى فروق بينكما ، و بعد نظرة طويلة اليها سحبنى صديق الكلية (طارق) من يدى ، و قد لاحظت ان الفتاه لم تنظر اليّ الا مرة واحدة فى خجل .

مر الموقف طبيعيا ، و فى نهاية اليوم شاهدت تلك الفتاة مرة أخرى ، فجرفنى فضولى الى سؤال احد الأصدقاء ، و كان رده الصادم المبهج الذى اصابنى بذهول المسجون الذى وجد نفسه رئيساً للجمهورية ، قال لى انها تسمى (سارة) ... " دى من بلدك يا عم " !

كانت فرحتى كمن ظل جائع لعدة أيام و فجأة وجد جزاراً يوزع اللحم مع مبلغ نقدى دون مقابل !

كيف للأقدار ان تجمعنا مرة اخرى بعد عدة سنوات ! ، هل هذه علامه ! ، هل هو الوقت المناسب لكى آخذ خطوة الى الأمام و ارتبط و استقر ! ، هل رُتبت هذه الأمور لصالحى دون أن ادرى !!

كل ذلك لم يهمنى ، كل ما شغل تفكيرى هو الوصول اليكِ ، فـ على الفور استعنت بـ (طارق) ، فقال لى ان المواجهة أفضل حل ، و نصحنى بأن استوقفك فى الكلية و أن أتحدث معكِ بشكل مباشر ، لكن ذلك الحل لم يرضينى ، فماذا يكون الوضع عندما تحرجينى - و هذا وارد جداً - ، فالمعروف عنكِ انكِ شديدة الالتزام دينيا و خُلقياً و هذا ما شدنى اليكِ فى الاساس ، فـ كرامتى أغلى عندى من أى شئ ، فرفضت ذلك الاقتراح ، و طلبت منه ان يأتى برقم هاتفك عن طريق حبيبته (يسرا) .

استغرق الأمر عدة اسابيع ، حتى استطعت الحصول على الرقم ، لأنكِ لم تعطيه لأحد من البنات ، و بدأت أُجهِز كلاماَ أقوله ، فأنا لم اتصل يوماً بفتاة طالباً منها الارتباط تحت أى ظرف ، لم و لن أُعرّض نفسى لإحراج من أى نوع ، و لماذا افعل ذلك ، فأنا لم اقضى يوماً دون فتاة إما صديقة جنسية أو حبيبة وهمية ! ...))

توقف يوسف عن الكتابة لأنه شعر بالإرهاق ، فاتجه الى سريره و استلقى عليه و راح فى نوم عميق لم يخلو من بعض الكوابيس الخفيفة ، فضحاياه يترددن عليه من وقت لآخر فى احلامه .

****

قام يوسف صباحا بعدما تناول افطاره و بدّل ملابسه و همّ بالنزول ، فسمع هاتفه يرن ، و إذا بها بتول ..

- ألو ، إزيك يا جو ؟

- تمام الحمد لله ، ايه اللى مصحيكى بدرى كدا ؟

- انتا اللى صاحى بدرى كدا ليه ؟

- انا نازل اقابل طارق .

- هتنزل الكلية فى الاجازة ؟

- لأ ، هنقعد فى اى كافيه و خلاص ، مش هروح ناحية الكلية خالص .

- اه ، طب مينفعش تتأخر ربع ساعة ؟

- اشمعنى ؟

- كدا ، عايزه .

- عايزه ايه ؟

- انتا هتستهبل ؟

- اااه ، دلوقتى ؟!!

- اه دلوقتى

- طب و المعركة بتاعت امبارح دى ايه نظامها يا توته ؟

- كانت حلوة أوى ، بس عايزه تانى .

- لأ ، مش دلوقتى ، و بعدين انتى هتشتغلى نفسك ! ، ربع ساعة مين ، دى فيها ساعة و نص .

- لالالا ، مليش دعوة ، بص ، دا أنا لابسالك حتت بيبى دول جامد ، لونه احمر و بحمالة واحدة فى الشمال و اليمين من غير حمالة .

- طوله لحد فين ؟ (قالها يوسف بعدما رسم على وجهه ابتسامة شريرة توحى باستجابته لنداء الجنس) .

- لحد الحاجات .

- ايه دا .. قُصّير اوى كده !

- اه ، يلا بقى ...

و كالعادة ، لم يستطع يوسف كبح جماح شهوته ، فتأخر على طارق ساعة و ربع ، كان قد ملك فيهم الدنيا بشهواتها بين يديه .. او فخذيه !!

دلف يوسف المقهى الحقير المجاور للكلية الذى تمتلئ كراسيه بالمسامير ، و الذى يقدم مشروباتٍ لا تُشرب ! ، ثم سَلم على طارق ، بعد ان زعم ان تأخيره بسبب المواصلات و غَلق الطريق ، ثم طلب قهوته الدُبل ، و أشعل سيجارة ، و شرع يتحدث مع طارق فى أمور الكلية و النصف الثانى من العام الذى سيبدأ بعد فترة صغيرة ، و نتيجة النصف الأول التى ستظهر بعد بداية الثانى بعدة أسابيع ، و بدأ الحديث ينحدر الى المكان الطبيعى له وهو البنات ، فاشتكى له طارق من حبيبته يسرا ، فهى معهم فى نفس الكلية ، و عينيها لا تغيب عن طارق لحظة ، و دائمة الشكوى و تريده معها طوال الوقت على الهاتف ، فمن يستطيع ان يتحمل هذا الوضع ! ، ثم تحوَل الحديث الى سارة حتى انتهت الجلسة .

قام يوسف بعدما قضى اليوم كله حتى العشاء مع طارق ، و ودعه ، و وعده بلقاء اخر قبل نهاية الأجازة ، ثم انطلق يوسف .

بدأت كلمات طارق تدور فى دماغه ، فكلامه لم يختلف عن باقى الناس ، فكل من تكلم له اسبابة التى بنى عليها تفسيره للموقف ، و نادراً ما أعطاه احد السبب الصحيح أو المريح ! ، فطارق اتهمه انه لا يحب سارة من الاساس ، و أن كل هذا لأنه لم ينل منها ما ناله من غيرها ، أما عن باقى الأصدقاء فلم يختلف كلامهم كثيرا ، حتى صديقاته البنات ، كان لكل منها أسبابها ، فـ (سلمى) صديقة العمر التى كانت حبيبته سابقا قالت : " كل اللى انتا عاملة دا عشان هيا كانت مهتمة بيك زيادة شوية ، ماهو لو أنا كنت اهتميت بيك كدا مكنتش سبتنى ابدا " ، قابل كلامها بالسكوت ، دون إبداء أى تعليق ، فأسبابها واضحة !!!

لم يرتَح يوسف إلا عندما تكلّم مع أمه ، و كانت أول مرة يتحدث يوسف مع أمه بشأن فتاة ، لأن علاقته بأمه كانت متوترة دائما ، و لكنه فعلها إرضاءً لسارة ، و لكى تصدق انه جاد فى كل ما وعد به من خطبة و زواج بمجرد إنهاء الدراسة .

رن هاتفه و هو أمام باب منزله بصوت عمرو دياب .. (معرفتش إن اللى يسلم ، هوا اللى دايماً يتألم ، مقدرش أقول قبلك هنسى ، لازم ..)

- أيوة يا توته

- اية يا جوو ؟ واحشنى كيييك !

- و انتى كمان ، ايه الأخبار أ- بت ؟

- تمام ، أنا هنزل مع ريهام نجيب شوية هدوم و جاية .

- أوك

- هنرجع الساعة اتنين بليل .

- أوك

- أوك ايه ؟ ، هوا انتا مش بتعترض على اى حاجة كدا ؟ ، بقولك اتنين بليل!! (قالتها و هى غاضبة)

- و اعترض ليه ! ، انتى حرة يا بنتى .

- حرة !! ، ماشى لما اجى نتكلم فى الحوار ده .

- اوك .

- عموما انا هطلع احسن منك و هجيبلك بيبى دول جامد ، و هلبسه انهاردة .

- اوعى ، هوا دا الكلام بقى . (قالها و رسم ابتسامته العريضة التى تخفى ملامح وجهه ورائها)

- ماشى ياخويه ، يلا باى (ناو) .

- باى يا فاجرة (قالها و ابتسم و اغلق الخط) .

بدّل يوسف ملابسه ، و احضر فنجاناً من القهوة ، و اشعل سيجارة ، ثم بدأ يفكر فى بتول .

ما الذى يجعل فتاة تمارس الجنس مع ولد فى علاقة غير شرعية تحت مسمى الصداقة ؟ ، حتى ان دافع الحب الهزيل الذى تبرر به كل البنات ممارستها للجنس غير موجود ، فكر يوسف كثيرا و كثيرا ، باحثاً عن دافع لهذه التصرفات ، و لم يجده ، فكتب على حسابه فى موقع التواصل ...

ليتكِ أدركتِ ما فعلتِ بنفسِك و مازالتِ ، أكثرتُ من نصائحى لكن دون جدوى ، لماذا ترمى بنفسك الى طريق الأشواك! ، ما هى دوافعك و ما هى مبرراتك ؟! ، أى نفع تحصلين عليه مقابل كلمات معسولة و نظرات إعجاب ، فلتذهب ثقة النفس الى الجحيم ان كانت هى الدافع لمثل هذه الأفعال ، رأيت من الغباء أنواع و لم أرى مثل هذا من قبل ، فمن يدفع حياتُه أو ما يساويها مقابل نظرات اعجاب عاهرة هى فى

الأصل طلب زنى متخفى ! ، هل يسعدك كثرة مثل هذه الطلبات ! ، فهل كثرة زبائن العاهرة تسعِدها أم تُزيدها عُهراً فوق عُهرها ؟! ، كيف تلبسين أقنعة العفة و الطهارة أمام الناس و تتجردين منها أمام المرآة ؟ ، كيف هى نظرتك الى نفسك ؟ ، هل تعلمين انكِ عاهرة النظرات موزعة الابتسامات المجانية ؟!! ، أم لكى قناع تواجهى به المرآة أيضا ! ، هل انتى مقتنعة بمبرراتك ؟ ، هل تصدقين انكِ اكثر احتراما من غيرك ؟ ، صحيح انك اكثر احتراما من الكثيرين ، لكنك اكثر انحطاطاً و بُعداً عن أى معنى للعفة و الطهارة ! ، فمن تقبل على نفسها عُهر النظرات .. يهون عليها عُهر الأسِرّة .

اسمحى لى سيدتى ان اصفعك لكى تفيقِ ... فمن حولك ذاهبون جميعاً .. كلٍ الى عالمه الخاص .. الذى لا يتمنى وجود امثالك فيه .

لم يقصد يوسف ما كتبه بالضبط ، كان يريد تبديل النظرات باللمسات و أشياء اخرى كثيرة ، لكنها قواعد مواقع التواصل المتعارف عليها ، فلو تجرأ و كتب شيئاً كهذا لعلم كل الناس انها رسالة موجهة و بدأ البحث خلفه و خلف افعاله فهذه عادات المصريين

دائماً ! ، فقرر ان يغيّرها بهذه الطريقة لكى يضمن ايضاً ألا تقرأها بتول و تكون سببا فى شجار كبير ، لأنها بالتأكيد ستعرف انها المقصودة .

أغلق يوسف هاتفه كى لا يتلقى اى مكالمات ، حتى من بتول نفسها ، فقد شعر انه بحاجة الى الجلوس مع نفسه لبعض الوقت ليعيد ترتيب اوراقه و أموره .

فجهز كوباً كبيرا من الشاى و قام بإخراج سيجارة حشيش ملفوفة بورق بفرة كبير (زِجزاج) كان قد أخذها من سيف اخر مرة و لم يُرِد إشعالها إلا وحيداً فى ظروف خاصة مثل هذه ، فالحشيش قبل ان يُخدِر ، يحتاج الى عقل خالى غير مبالى بأى شئ يفصِلُه ، فـ غلق الهاتف و الجلوس وحيداً او مع أقرب الاقربين من اساسيات اشعال سيجارة حشيش تؤتى ثمارها بفاعلية ، اما جلسات (المجالات) كما فى الافراح و غيره ، فلا تصل بك الى سقف (الروقان) ، فالحشيش هو اكثر شئ غير مفهوم فى الكون ، فـ كل من جربه و من لم يجربه يفهمه خطأ ، فمن الناس من جربه و يقول انه مجرد تأثير نفسى فقط لا غير ولا يوجد تخدير ، و آخر يقول انه مخدِر لا يؤدى الى ذهاب العقل ، انما تصبح رائق المزاج دون دوخة او عدم اتزان ، و من لم يجربوه من الاساس يظنون

انه يسبب فقدان العقل و يؤدى بك الى الكوارث .. تُرى من فيهم الأصح .. لم و لن يعرف أحد ، انه سر الحشيش ، اعظم نبته فى العالم .. لكل من يتعاطاها !!

****

استيقظ فى اليوم التالى فى الثالثة عصرا ، لا يتذكر أى شئ فى ليلة أمس ، فكم هى عظيمة تلك السيجارة التى تُنسيك تفاصيل يوم شُربك لها ، و كعادته ظل مستلقياً على السرير لـ خمس دقائق ، لان نهوضه من النوم فجأة يصيبه بدوار شديد ، ثم فتح هاتفه ، فاتصلت به بتول على الفور ..

- ازيك يا يوسف ؟

- تمام يا توته ، و انتى ؟

- تمام ، انتا قفلت موبايلك امبارح ليه ؟ ، احنا مش كنا متفقينـ ....

- (قطعها يوسف) : عادى يا بتول ، كنت تعبان و نمت ، مفيهاش حاجة دى !

- لأ فيها ، اللى بتعمله دا مينفعش ، انا عمر ما حد عاملنى بالطريقة دى .

- انا جيت جنبك دلوقتى ؟ ، واحد كان تعبان فدخل نام ! ، ايه المشكلة ؟

- المشكلة انك بتعاملنى بطريقة زبالة يا يوسف و أنا عمر ما حد عاملنى كدا مهما كان ، دا احمد ذات نفسه مكنش بيعاملنى كدا !

- انا قولتلك مليون مرة انا متقارِنش بـ احمد ، انا مش احمد ، انتى و احمد كنتوا مرتبطين ، انما انا و انتى صُحاب . (قالها بنبرة مرتفعة)

- عارفه يا يوسف اننا صُحاب ، مش كل مرة تقولى الكلمة دى ، انا بس اقصد ان احمد كانت علاقته اقرب ليا و مكنش بيعاملنى كدا .

- و انا بعاملك عادى و بطبيعتى على فكرة ، أنا مش فاهم ايه الغلط فى انى اقفل موبايلى و انام ! ، انتى مريضة على فكرة يا بتول ، دايماً عندك شعور بالإضطهاد .

- مريضة !! ، ماشى يا يوسف .

- ماشى ، انا هقفل عشان عندى شوية حاجات كدا و نتكلم بعدين .

- ماشى ، براحتك أوى .

- ماشى .

- و أنا هنزل اخرج شوية مع ريهام و ماما ، و لما آجى هكلمك ، متقفلش موبايلك يا يوسف عشان عايزاك .

- حاضر .

- ما تيجى تخرج معانا ؟

- لأ ، الدراسة جاية اهو و هشوفك فى الكلية كل يوم .

- ماشى ، يلا باى باى .

- باى .

نهض يوسف ، وتناول بعض الطعام و شرع يبدل ملابسه ، ثم انطلق الى اصدقاءه ، فى جلسة روتينية لا يوجد بها مخدرات ولا خمر ، يوجد بها (بلاي ستاشن) و بعض المشروبات المثلجة و رتابة

.. فى بيت احد الزملاء ، ولم تمضِ النصف ساعة ، حتى وجدها تتصل مرة اخرى ، و صُدم مما سمعه ..

- ايه يا توته ؟

- ااااااااه ، تعبانه أوى يا يوسف .

- مش وقته ، أنا قاعد مع ناس دلوقتى .

- يا عم أنا بموت ، تعبانة بجد .

- فى ايه ، مالك ؟

- أحمد خبطنى بالعربية كسرلى رجلى .

- نعم !! ، اهبل دا ولا ايه ؟!

- أه و الله .

- يا نهار ازرق ؟ ، و ماما كانت معاكى ؟

- أه ماما و ريهام .

- مش ريهام دى أخته ؟!

- أه أخته .

- طب و إيه اللى تَم دلوقتى ؟! ، معملتوش محضر ليه ؟!

- عملنا و هوا محبوس (ناو) ، و مامته عماله تعيّط .

- يا نهار إسود ! دا مجنون رسمى ، المهم انتى اتدمرتى أوى ؟

- أه ، الكسر جاب رجلى من تحت خالص لحد .... ، لحد اللى انتا عارفه بقى .

- آه آه ماشى ، المهم اللى أنا عارفه يبقى سليم بس .... (قالها و ابتسم) .

- لأ سليم ياخويه .

- خلاص يا توته متزعليش نفسك ، ألف ألف سلامة يا مُزه ، و طظ فيه و فـ أمه.

- يا عم طظ فيه ، أنا بس زعلانه إن كدا الترم التانى هيبدأ ، وأنا هكون لسه فى الجبس و مش هعرف أشوفك فى الكلية ، هوا احنا هنفضل نشوف بعض فى الصور كدا بس ؟!

- يا ستى لسه فاضل أسبوع على الدراسة .. جبسك دا هيقعد قد إيه ؟!

- أربعين يوم ، يعنى مش هشوفك إلا كمان أربعين يوم يا جووو ، أنا زعلانة أوى ، دا أنا اما صدقت إننا كنا هنتقابل فى الشقة التانية أول ما الكلية تبدأ .

- خير خير ، مش يمكن كنا إتقفشنا يا توته .

و انهى يوسف مكالمته ، و اعتذر لأصدقائه لكى يرحل ، وانطلق الى بيته بعدما اشترى علبة سجائر جديدة و قلم حبر سائل .

بعدما وصل الى البيت و بدل ملابسه و تناول وجبة خفيفة ، استقبل مكالمة اخرى من بتول ، قصت له فيها تفاصيل الحادث ، فقد كان ذلك المجنون يمشى خلفهم بالسيارة ، ثم انتظر حتى توقفوا جميعاً و دخلت والدة بتول و ريهام الى احدى المحلات و تركوا بتول وحدها فى الشارع و اسرع تجاهها بسيارته حتى ارتطمت بها و حُملت بتول بجسدها كله فوق مقدمة السيارة لعدة ثوانى حتى توقفت فانزلقت بتول من عليها مرميةً على الارض و بجانبها قدمها ، تأخذ شكلاً منبعجاً من اثر الكسر ، تجمّع الناس فى الشارع ، و حملها احد الشباب و اخذها الى اقرب مستشفى ، و العجيب ان ذلك المعتوه ذهب معهم الى المستشفى و دخل معهم الغرفة و كأنه لم يفعل شيئاً !!

و عندما حضر والدها ، و دخل الى الغرفة ، وجد بتول مازالت مغمى عليها و هذا الحقير يحاول ان يُقبّلها ، فلكمه فى وجهه عدة مرات و امسك به من رقبته و نزل به الى السيارة ثم رمى به فى مركز الشرطة و قدم بلاغاً ضده ، و تم حبسه على ذمة التحقيق على اثر ذلك البلاغ .

****

احضر يوسف كشكول (سارة) و جلس على كرسيه ذى الجلد الأسود واضعاً الكشكول على المكتب بعدما انهى مكالمته مع بتول و خلع غطاء قلمه الجديد و بدأ يُكمل حكايتُه مع سارة ....

((بعد تجهيز عدة جمل و افكار لكى أقولها لكِ فى أول مكالمة بيننا ، اتصلت فى عصر يوم الخميس ، فى رابع اسبوع من بداية الدراسة ، و كانت الصدمة فى ردودك ، فقد اضطررت الى مواجهة كلماتك

شديدة اللهجة ، فقلتِ لى أولا انكِ لا تفكرى فى مثل هذا الموضوع الان ، و ثانيا اننى شخص سئ السُمعة و انكِ تسمعى عنى كلاماً مُرعباً منذ كنا طلاباً فى الثانوية ، و حكيتِ لى بعضاً من هذا الكلام ، مثل نورهان التى تدور فى كل مكان تقول ان والدى دخل علينا فى البيت الثانى و وجدنا فى وضع مُخِل بالآداب ، و إكرام التى قُبض عليها و علىّ انا الآخر فى السيارة بعد منتصف الليل ، و أشهر كل هذه الحكايات هى حكاية هالة التى أهدتنى علبة حمراء فى عيد ميلادى و صممت ألا أفتحها إلا بعد رحيلها من أمامى ، و لما فتحتها وجدت فيها أجزاء من ملابسها الداخلية بالرغم اننى لم اكن اعرفها قبل ذلك اليوم ، فقد كان كل الكلام صحيحاً بلا أى استثناء ، و لكنى اضطررت الى تكذيب كل ما به زنى ، و التصديق على البعض الاخر مع اعطاء مبررات لمثل هذه الأفعال ، فلو اوضحت لكى كل الأمور من البداية لانتهت حكايتنا قبل أن تبدأ ، و لو كذّبت كل الكلام لفقدت مصداقيتى ، فكان هذا هو الاختيار الأفضل .

مرت المكالمة الأولى و تحملت كل ما فيها من ردود كنت اعتبره اهانة لكرامتى ، فالإهانة كانت متمثلة فى رفضك لفكرة الارتباط من الاساس ، فلم اتخيل

يوماً اننى اتصل بفتاة و اطلب منها الارتباط .. و ترفض !! ، فمن تجروء على رفضى أنا ! ، فكم من فتاة تمنت لو كانت حبيبتى ، منهم من قالتها لى و منهم من لم تقل و لكنها كانت واضحة عليها دون كلمات .

خرجت من المكالمة بقرار وحيد ، اننى لن اكرر ما فعلته مرة أخرى و لن اتصل بكِ ثانية و النسيان هو الحل الوحيد لهذه الحكاية ، فلن اقبل على نفسى ان نرتبط بعد ذلك و قد رفضتِ فى أول مرة ، و فى نفس الوقت لن تسمح لى كرامتى بأن اتصل مرة اخرى و اسمع كلاماً مثل هذا ، فقد كفانى ما حدث حتى ذلك الحين .

و لكن سرعان ما نسيت قرارى - أو تناسيته - بمجرد ان رأيتك فى الكلية بعدها ، و بدأت أضعف ، و بدأت رحلة فقد السيطرة ، فقد السيطرة على كل شئ ، بدايةً من النظرات ، وصولاً الى نُطق اسمك بطريق الخطأ امام الناس ، فقررت ان اعاود الاتصال مرة اخرى و لتكن الأخيرة ، و يحدث ما يحدث بعدها ، ماذا ستستفيد كرامتى ان لم اكن بجانب حبيبتى الأولى و الوحيدة ، فيكفى فقط انكِ الانسانة التى استطاعت ان تعصف بمشاعرى و تصيبنى بشلال رومانسية جارف ، لدرجة اننى اقلعت عن عادة الاستهزاء بالأصدقاء الرومانسيين ، ذوى القلوب

الحساسة ، فمن يحب لا يستهزئ بمُحب اخر ، لا يعرف قيمة النور إلا من عاش حياته فى الظلام ، و انا عشت حياتى فى الظلام بلا حب .

انتظرت حتى جاء يوم الخميس مرة اخرى ، و رتبت بعض الكلمات لأقولها مرة اخرى ، لكى لا أظهر مُرتبكاً ، ثم اتصلت ، و لكن قاعدة العشق دائماً ، رتب ما تريده ، لكن ما ستقوله ، ما فى القلب فقط ، و قد كان ..

لم أقل شيئا مما رتبته ، ولكن المكالمة كانت أفضل مما سبقتها ، فقد كنتِ نائمة يومها ، و كان واضحاً من صوتك ، و لذلك كدتُ اطير فرحاً عندما نطقتِ اسمى فى غفلة منكِ ، استنتجت من ذلك انك قد سجلتِ رقمى ، و بدت الخطوات القادمة أمامى أسهل بكثير مما توقعت ، و لكن المكالمة ذات المائة و اربعون دقيقة لم تُثمر عن اى جديد ، مجرد انكِ وثقتى اننى شخص سئ السُمعة ببعض الوقائع الإضافية ، حاولت ان اخطف منكِ وعداً بمكالمة اخرى على اعتبار اننى أترك لكِ فرصة للتفكير ، و لكنكِ رفضتِ !

حينها اتخذت قرارى مرة اخرى بصرامة اكبر من السابق اننى لن اكررها ، و كالعادة كررتها ، ولكنى

كنت جريئاً أكثر مما توقعت ، فقبل ان أنهى مكالمتى الثالثة معكِ ، نطقت بـ " بحبك " ، و أغلقت الخط فى وجهك كمن فعل مصيبة و يبحث عن مأوى يختبئ به !

و مر أسبوع ، حتى جاء يوم الخميس ، كنت حالماً بمكالمة منك ، و لكنكِ لم تتصلِ ، و لم اتصل انا الآخر ، و بهذا كانت نهاية الموضوع بالنسبة لى حتى الخميس الذى تلاه ، فى الساعة الواحدة صباحاً و قد كنت اتحدث الى صديقتى الجنسية حينها (سمر) ، وجدت رقماً يتصل بى على الهاتف الثانى ، و اذا به رقمك !!

لم اصدق نفسى حينها ، فرميت سمر على السرير غير مهتماً ، و حملقت الى الهاتف الذى يرن ثم أجبتك ، و كانت المفاجأة انكِ توعدينى بمكالمة فى اليوم التالى عقب صلاة العصر ، لانه من حقى ان اسمع رد فيما قُلته ....))

انهى كتابته عند هذه الجملة ، و حاول النوم لكن سيطر عليه الشعور بالأرق فقرر النزول الى المقهى المجاور للبيت ، و قد كانت الساعة حينها فى حدود الواحدة صباحاً .

طالت جلسته وحيداً على القهوة لمدة ثلاث ساعات يقرأ كتابا لـ (عمر طاهر) ، فهو كاتبه المفضل ، حتى قام و دفع حسابُه و رجع للبيت و اغلق هاتفه و نام .

****

مرت الأيام الباقية على بداية الدراسة عادية أو أقل ، فقد كان الجنس و الأكل و المقهى هم الأساس لكل شئ ، و يأتى بعد ذلك الكتابة ثم ... لا شئ !

فلم يمنع الجبس الذى يغلف قدم بتول اليسرى من اداء واجبها الجنسى بمنتهى الكفاءة و الابداع ، فقد كانت تقوم بكل حركاتها المعتادة بل و أكثر منها ، فهكذا هى بتول ، دائماً ما تكون مبدعة فى كل شئ ، و لهذا استحقت تسميتها على هاتفه بـ (المُزة المثالية) .. و كانت فعلاً مثالية .

و فى خلال هذه الأيام كان قد قطع شوطاً كبيرا من تدوينه لحكايته مع سارة ...

((و فعلاً ، بعد صلاة العصر مباشرة اتصلتِ كما وعدتِ ، و بدأت الحكاية .....

لا اتذكر تفاصيل بدايتها ، أو لا اريد ، لأن ما عيشته بعدها أنسانى كل ما مر بى فى حياتى ، لم تستمر علاقتنا كثيراً ، لم تدُم أكثر من شهرين ، كانوا شهرين من الجنة ، شهرين اذا لم أعيشهم فكان صدقاً ان قلت اننى لم أعش يوماً واحداً منذ وُلدت ، وجدت فيكِ كل ما احببت ، وجدت كل ما بحثت عنه و ما لم ابحث ، صحيح ان هناك أرواح تتجاذب لبعضها من أول لحظة ، لم أكن اصدق هذا الهراء حتى وقعت فيكِ ، فـ الدنيا كانت معكِ شئ و بدونك شئ اخر تماماً ، لقد كنتِ الفرق بين الموت و الحياه ، الفرق بين بكاء شدة السعادة و بكاء شدة الحزن ، صحيح ان كلاهما بكاء ، لكن اسباب كل منهما تصنع الفارق ، لم تكونى كـ كل الفتيات ، بل كنتِ فتاة بكل الفتيات ، بل بكل الدنيا ، فما قيمة النجاح اذا لم تشاركينى فيه ، ما قيمة المال اذا لم اخصص منه جزءاً لهدية لكِ ، ما هى الضحكة اذا لم تكونِ سببها

، ما قيمة القلق اذا لم يكن عليكِ ، ما قيمة الحياة اذا لم تكونِ جزءاً منها ! ، فكل شئ بدونك ... لا شئ !

دائماً ما يكون الحب الأول له مكانة خاصة ، فلكِ ان تتخيلِ كيف احبك و انتِ الأولى و الأخيرة و الوحيدة الحقيقية ، فقد وصلت معكِ لمرحلة العشق ، بل تعديت العشق ، لقد وصلت لمرحلة مخيفة من الحب الممزوج بالعشق الموضوع فى اطار التعلُق ، كلهم تحت اسم (سارة) ، فكيف لى ان أُصدق اننى احب فتاة مرتبطة بى نفسيا و روحيا و فكريا ، فشخصياتنا لها من التشابه ما يجعلنا نتصرف بنفس الطريقة فى الكثير من الاحيان ، و أرواحنا متقاربة لدرجة ان احلامنا كثيراً ما تكون واحدة .

تخيلت يوماً اننى سأرتبط و اتزوج و استقر ، لكن عقلى الضيق لم يستطع تخيُل وجود انسانة مثلك ! ، كما لم يستطع ان يتخيل اننى سأعشق بهذه الطريقة المرعبة ، فـ أنا الآن ادركت معنى ان يقول احدهم لحبيبته " انتى الحياة " ، نعم ، فـ انتى الحياة ... و اكثر .

بالرغم من انكِ كنتِ الحب العذرى ، الخالى من اى جنس ، من أى قُبلة ، من أى لمسة أو أى ايحاء او

أى سؤال من نوع "عاملة ايه من تحـ* ؟ " ،الا انه كان افضل من اى علاقة جنسية مرت بى .

كنتِ معى دائماً لحظة بلحظة ، فى كل حالاتى ، خاصة عند مواجهة المشاكل ، بالرغم من كوننا متشابهين فى كل شئ ، إلا انكِ أكثر قدرة على مواجهة المشكلات و ضبط النفس ، كنتِ حبيبتى و أمى و أختى و صديقتى و خطيبتى و زوجتى المستقبلية ... كنتِ عالمى ... كنتِ أنا !

كنتُ فى الجنة حتى وجدتك يوماً تبكين دون سبب ، و عندما سألتك ، قلتِ " أنا هسيبك يا يوسف " ، و كأن الدموع كانت على وضع الاستعداد ، فنزلت دون اذن منى او سابق انذار ، كنت حينها نائماً على السرير ، فنهضت و طلبت ان تكررى ما قلتِ مرة اخرى على أمل ضعيف جداً ان يكون اصابنى مرض فى اذنى جعلنى اتوهم خطاءً هذه الكلمة ، و لكن ردك كان حاسماً ، فقد كررتِ نفس الجملة ، التى على اثرها زادت دموعى دون ان اصدر اى صوت يدل على البكاء ، مجرد صمت ، تحولت المكالمة الى عزاء شخص مجهول مات فى حادث و لم يعرفوا أهله ... فلم يحضر أحد ! ، صمت سيطر على المكالمة لبضع دقائق ، حتى قطعته مستفسراً عن السبب ، فأجبتِ " أنا أعصابى تعبانة و حاسة انى بعمل حاجة

غلط من ورا اهلى و أنا متعودتش على كده و مش قادرة أكمل " .

كم كانت كلماتك موجعة يا سارة ، فلو تعرفى كيف اننى كنت احافظ عليكِ ، فـ أنا لم اتخيلكِ يوماً - حتى فى أحلامى القذرة - فى وضع جنسى ، لقد كنت أغض بصرى عنكِ فى الكلية لكى لا يلاحظنى أحد فتلعب به الشكوك تجاهنا .

كم كانت نهاية القصة عجيبة و غير تقليدية ! ، فبماذا اشكو الان ؟! ، هل اقول ان حبيبتى اختارت البُعد لأنها ملتزمة - من وجهة نظرها - ! ، و هل لى ان افرح ام احزن ! ، افرح انها محترمة و تقدّر اهلها ام احزن لأنها تركتنى ورحلت و نسيت ان ترد لى قلبى ! ، فـ حتى الشكوى حرمتنى منها سارة .

كنت حينها املك كل مقومات الحياة لأُسمى كائن حى .. ماعدا الشعور ! ، كنت فاقداً لكل شعور ، حتى الشعور بالحزن فقدته ، لا حزن ، لا فرح ، لا ألم ، لا جرح ، فـ مما أتألم او انجرح ، هى لم تجرحنى .. هى ذبحتنى بسكين الفراق الثلم .. و ثلم لأنه بدون اسباب تستحق !!

تكاثرت حينها الأسئلة بداخلى ، لماذا الآن فى هذا التوقيت بالذات ، و لماذا وافقتِ من البداية و انتِ

تعرفين انكِ ستفعلين هذا دون علم أهلك ! ، هل كنتِ تجربين ! ، أم كنتِ تحبيننى و توقفتِ الآن ! ، فـ من انا بالنسبة لكى ؟ ، حبيب هجرتيه لظروف خارجة عن ارادتك أم قصة بدأت و انتهت دون ان تشعرى ! ، بماذا تشعرين عندما تنظرى مباشرة الى عينى فى الكلية ؟ ، هل تشعرى بافتقاد و اشتياق ام براحة زوال كابوس ثقيل ! ، و هل كنت كابوساً يا سارة ؟ ، فـ أنا لم اجبرك يوماً على شئ ، حتى اننى لم أكن اتصل بكِ نهائياً ، تركت لكى حرية الاتصال لكى لا تملّى من كثرة مكالماتى ، لدرجة انكِ بدأتِ تشتكين من تجاهلى لكِ ، لكنه لم يكن تجاهل ، كان أقصى درجات الاهتمام يا سارة ، فالمكالمات بكل ما تحويه من كلمات لا تدل على الحب أو الاهتمام ، الاهتمام يخرج من القلب متجهاً للقلب ، لا يحتاج لأى مكالمات ، و دليلى على ذلك هو نظراتك لى داخل الكلية ، كم كانت حنونة ممتلئة بالحب ، كانت تشعل بداخلى مراجل الشوق ، كنت اشتاق لكِ بشدة ، و كل ذلك دون مكالمات ! ، احتاج فقط أن اسمع صوت نفسك ليس أكثر ، و لكننى لا اخلف وعودى ، ولا اتحمل ان اسمع كلمة تجرح كرامتى ، فقد وعدتك ألا اتصل بكِ ، ولا انظر اليكِ ولو نظرة خاطفة ، ولو رأيتك لاعتبرتك شفافة ، فمجرد طلبك ان تنفصلى كان بمثابة نقطة سوداء فى

حياتى ، شرخ فى كرامتى لن يعود الى حاله مرة أخرى ، فلم تفعلها قبلك اى فتاة ، ولكنكِ كنت دائما لى الاولى فى كل شئ ، اول من تعلقت بها ، و أول من احببتها ، و أول من تركتنى بعد ان جرحتنى دون ان تتحمل اعباء اى ذنب ، فـ كنتِ فى نظر نفسك غير مخطئة ، فهذه عادة العشاق بعد انتهاء قصص الحب ، ان كل طرف يرى نفسه على صواب .

سيطرت عليّ حينها حالة الضياع ، كمن فقد كل ما يملك فى لحظة واحدة .. هل تهزه أى صدمات بعدها ! ، كل شئ فى نظره أقل بكثير مما هو فيه ..
فبماذا يمكن ان يشعر غير الضياع !

ماذا عساى ان افعل حينها ؟! ، هل انساكِ ؟ ، ام اتعلق بكِ اكثر ؟ ، ام أُعلق الأمر بأكمله لحين إشعار اخر ؟ ، و هل يوجد تعليق فى قصص الحب ! ، فلو وُجد التعليق و أصبح ممكناً .. لاختفى الشوق فى لحظتها ، فأى شوق يوجد مع إمكانية التأجيل !!

لم يعد الآن الكلام مفيداً ، فبما يفيد الكلام لحظة الفراق ! ، الكلام لا يزيدنا الا جروحاً ، فجرح البُعد عنكِ كان أشد الجروح ، فمجرد تخيُل الحياة دونك كانت مأساة ليس لها نهاية ، فكيف لى ان أعيش دون ان أسمع صوتك ، و كيف لى ان انام فى راحة

دون ان اتيقن انكِ مرتاحة ، حياتى بدونك أشبه بحياة الأموات .

حينها تذكرت كلماتى التى كتبتها و انا ابكى ، بعدما افترقنا مباشرة ..

فلتبكى .. فالبكاء يحرر النفس من بقايا الفراق ، فكل دمعة تمحو خلفها ذكرى ، و تطهر على اثرها جزءاً من نفسك و روحك ، ابكى ولا تدع فى نفسك مكانا لذكرى واحدة ، لصورة واحدة ، لمكالمة واحدة أو حتى كلمة حب واحدة ، اغلِب مشاعرك ، اقهر احساسك ، حطِم حَنينَك ، و أعصُر قلبك ، فلم يعد هناك من يهتم لأمرك ، فمن كان يحميك من شر نفسك قد رَحَل ، فمن سيحميك الان ! ، فلتنطلق كل الشرور صوب قلبك ، فإن كان لديك من الطاقة شئ ، فلتفرغُه فى الفتك بأشواقك ، و ان لم تمتلك أى طاقة فاستسلم لمصيرك المحتوم ... الموت البطئ .

لم انت حزين الان على حالك ؟! ، لم صَعبَت عليك نفسك ؟! ، ألم تحاول وضع نفسك مكان أحد ضحاياك !! ، الان فقط شعرت بمرارة الظلم ؟! ، فلتتجرع من نفس الكأس التى أغرقت فيها عنوة كل

من أحبوك ، فصحيح أن الظالم لا يتذكر ضحاياه إلا عندما يتذوق مرارة الظلم !

اعرفُ ما انت فيه الان ، فأنت ترى شريط حياتك يمر أمام عينيك ، كم من ضحية فيه ! ، كم من نداء حب و نداء استغاثة و نداء .. لمجرد الرحمة !! ، كم من قلوب قَطَعت فيها بسكين السادية البارد ! ، كم من كرامة دهستها بنعول أحذيتك !!

أما الان .. هناك حقيقة واحدة

انت تستحق كل ما حل بك ... فكما تدين تُدان !

هل هذه هى الحقيقة يا سارة ؟ ، هل أستحق كل ما أنا فيه الآن ؟ ،هل يجب ان يأتى يوم و اتذوق فيه مرارة الفراق ؟ ، حتى لو ان ذلك كله صحيح ، فـ أنا مستعد ، لكنى لم اتخيل انكِ من ستفعل بى ذلك !

و لكى اخرج مما انا فيه ، حاولت مراراً و تكرارا ان انسى بشتى الطرق ، حاولت ان انسى بالتدريج ، و ان اشغل نفسى بأى شئ لكى يُلهينى عنكِ ، و نجحت فى ذلك مئات المرات !!

مئات المرات نجحت و فشلت بعدها و تذكرت ، لأعاود المحاولة مرة اخرى و هكذا ، حتى الآن ، لم انسى و لن انسى ، فقد خارت قواى كلها و اصابنى

اليأس من النسيان ، و لا مفر من العذاب ، فالعذاب هو قدرى المحتوم الذى يتجدد و يعيد نفسه كلما رأيتك ، فكيف لعاشق فارق حبيبته ان يتحمل رؤيتها يومياً أمامه ، و الأصعب من ذلك انه مضطر للتمثيل امام الجميع و امامها ، فقد كنت مضطراً ان أُظهِر السعادة و الفرحة بسبب و بدون ! ، فكرامتى لا تسمح لى بأن أظهر حزيناً ، فـ أنا لستُ بضعيف ، صحيح ان الحب ضعف ، و لكنى الان - على الأقل - امام الناس لست ضعيفاً ، أما امام نفسى فـ أنا أضعف مخلوق على وجه الأرض ، لم أكن أملك الا كرامتى فقط ، و بما انكِ جرحتيها ، فلم اعد املك أى شئ ، سامحك الله على ما فعلتِ بى ، فـ أنا أحبك و أكره حُبى لكِ !))

الفصل الثانى

قبل بداية الدراسة بـ يوم واحد قام يوسف من نومه بعدما رأى سارة فى منامه ، و بالرغم من انه لم يتذكر شيئاً من تفاصيل ذلك الحلم ، إلا ان سارة لم تفارق عينيه طوال اليوم ، و لذلك رفض النزول من البيت و ألغى كل مواعيده مع أصدقاءه و قرر أن يحتفظ بصورتها أمام عينيه أكبر فترة ممكنة ، حتى جاء الليل و أمسك بكشكول سارة و بدأ يكتب من جديد ...

((لا اعرف ماذا اكتب لكى الآن بعد ان انهيتُ كتابة حكايتنا حتى نهايتها ، و لكنى رأيتك فى منامى اليوم ، و ظلت صورتك امام عينى لم تفارقنى ، فتذكرت اليوم التالى لـ يوم فراقنا ، عندما طلبت ان أعطيكِ ورقة لم تكونى على علم بما كُتب فيها ، و لكنكِ توقعتِ ان يكون بها شِعر لـ (عمر طاهر) ، و

فعلاً صدق توقُعك ، فقد كتبت فيها قطعة شعر صغيرة ، سواء كانت مناسبة للموقف ام لا ، و لكنى اردت ان أعطيكِ شيئاً لا يُنسى مهما مر الزمان ...

عملت نفسى لوح خشب ..

يلا الحقى ..

طب ليه مُصِرة تغرقى ..

نفسى خلاص قرب يضيق ..

بغرق ومع انى غريق ..

بامد ايدى اطلعك ..

بس العِناد بيمنعك ..

دلوقتى صعب انى انفعك ..

سبق الفراق روح الفريق .

****

نهض يوسف من نومه فى أول يوم دراسة بالفصل الثانى ، و بدّل ملابسه و هبط للكلية بدون افطار ، حيث التقى اصحابه ، و تبادل معهم السلامات ، ثم

لمح سارة تقف بعيداً ، فنظر الى اتجاه اخر على الفور و طلب من طارق ان يتابعها بعينيه ، لأنه لا يريدها ان تشعر باهتمامه بها ، و على هذا الحال لمدة خمسة أيام ، حتى جاء يوم الخميس ، بينما كان داخلاً الى المدرج ، فوجئ بـ سارة أمامه ، نظر طويلا فى عينيها - و كانت المرة الأولى منذ الافتراق - و بادلته هى نفس النظرة ، فارتبك كلاهما ، ثم لمح دمعة تسقط من عينيها ، فأفسح لها الطريق لكى تخرج ، فاتجهت للخارج باكية .

ضرب يوسف باليوم عرض الحائط و قرر ألا يحضر شيئاً ، فجمع أشيائُه و رجع الى المنزل ، و صورة سارة و عيونها اللامعة من اثر الدموع لم تفارق خياله .

لم تكن دمعة يوسف التى سقطت بعد ذلك الموقف بسبب عدم قدرته على العيش بدونها ، و لكنه لم يهُن عليه ان يذهب كل ذلك الحب الى الهلاك ، و بلا اسباب قوية ، فـ سارة هى من محى بها كل ماضى سئ ، و رسم معها كل تفاصيل المستقبل ، إلا انه نسى ان يضع فى حُسبانه لحظة الفراق ، تلك اللحظة اللعينة التى هشّمت قلبه ، فلماذا تنفصل عنه الإنسانة الوحيدة فى الكون التى لم ينظر لها على انها تضاريس مثيرة جنسياً أو على اعتبار انها (

مصلحة) و ستذهب لحال سبيلها فى يوم من الأيام !

****

كانت علاقته بـ بتول فى هذه الأثناء تسير بمستواها الطبيعى ، فالجنس يسيطر على الموقف ، بل و كل المواقف ، و المكالمات بها ما بها من حكاوى و شكاوى و بعض المجاملات و الحكايات ، حتى حدث تغيُر مفاجئ لم يكُن مُتوقع اثناء احدى المكالمات ...

- انتا مش بتغير عليا ليه يا يوسف ؟

- أغير ازاى يعنى ؟ إحنا صحاب يا توته ، مفيش غيره بين الصحاب .

- لأ فيه ، عادى يعنى ! ، طب ليه مش بتمنعنى انى اقعد مع (علاء) مع انك عارف انه عايز يكلمنى ؟

- علاء مين ؟

- أخو خطيب أختى (سُـها) .

- عشان أنا مديتش لنفسى المساحة دى من التحكم فيكى و فـ تصرفاتك !

- طب مش بتعلق على لبسى ليه ؟

- هوا انا كنت شوفتك غير فى الصور يا بتول ؟! ، و بعدين بردو أنا مليش انى اعلق أصلا .

- (ردت بتول بإنهيار كامل و صوت متقطع نتيجة صوت بكاء مختلط بالكلام): يوسف .. إنتا بتستعبط و عامل نفسك مش فاهم حاجة !

يوسف فهم كل ما قصدته بتول ، ولكنه فَضّل أن يلعب دور الأبله لكى لا يقع فى قول شئ يندم عليه بعدها ، فقرر ان يعطيها ما تريده ظاهريا و هو الغيرة ، ولو انه مُسكن لن يدوم طويلا و لن يغنى عن كلمة " بحبك " .

- بتول أنا مش فاهم حاجة ؟! ، هوا فيه إيه ! ، كل دا عشان أنا مش بمنعك تقعدى مع علاء ! و مش بعلق على لبسك! .. خلاص هعمل كدا .

- ماشى يا يوسف .. خليك عامل عبيط كدا براحتك .

انتهت المكالمة و تركت يوسف وسط افكار متضاربة ، فلا يعرف الى اين يوجِه شعوره و تفكيره الآن ، أيفرح بهذه المُهرة التى تبكى فقط لتسمع منه كلمة (بحبك) ، أم يحزن على سارة و خيانته لها كل لحظة يتحدث فيها مع احدى صديقاته و يمارس معها الجنس ، فـ بتول تبحث عن شماعة لتعلق عليها أخطائها ، فهذه الكلمة ستكون بمثابة المبرر لممارسة الجنس دون تأنيب ضمير ، لكنها لا تستطيع ان تفهم ، ان كُلها زنى ، سواء مع الحب أو بدونه أو حتى لو كانت مخطوبة ، فى كل الأحوال هو اثم كبير ، و لكن عقلها الضيق لا يستطيع ان يستوعب هذه الحقيقة ، فهى تريد كل شئ فى نفس الوقت ، تبحث عن الشرف مع الجنس ، و الحب مع الراحة ، و الصداقة بدون مشاكل ، فـ بأى عقل يفكر هؤلاء البُلهاء ! ، من يستطيع ان يمتلك كل شئ بين يديه ، فـ سُنة الحياة الا تمتلك كل ما تريد ، الحياة فى معناها الحقيقى هى ترك شئ مقابل آخر ، فمن يبحث عن كل شئ لن يحصل على اى شئ ! ، فإن حصلت على الحب لن يكون به جنس ، و لو حصلت على الجنس ، يستحيل اختلاطه مع الحب ، فمن يقبل على نفسُه ان يتزوج بـ عاهرة ؟ ، انها عاهرة بكل ما تحمله تلك الكلمة من معانى ، و لو ان احدا يستطيع ان يُثبت غير ذلك

، فليتزوج من اقام معها تلك العلاقة ، و هنيئاً له على عاهرتُه ، فـ معها هو لا يأمن على ماله ولا بيته ولا أولاده ، فكيف يأتمنها على اى شئ و هى لا تستطيع فقط ان تكبح جماح رغباتها ، ملعون هو ذلك الحب الذى يجعل المرأة تتخلى عن شرفها ، فماذا تملك بعده ؟!! ، و من يضمن لك من البداية انها لم تُحب قبلك ، و لو أحبت بالفعل ، من يضمن انها لم تفرط فى شرفها من اجله ايضا ، و من يضمن انه كان واحداً فقط !

****

استمر مفعول المسكن لعدة أيام حتى انتهى ، و فتحت بتول الموضوع مرة اخرى و لكن بطريقة أكثر حدة فى احدى المكالمات ....

- يوسف ، انتا هتفضل عامل عبيط كدا كتير ؟

- مش فاهم يا توته ، ايه حكاية عامل عبيط دى !

- (إنفجرت بتول من البكاء و استطردت) : لو كنت مفكر إنى هبلة و مصدقة انك مش فاهم قصدى تبقى عبيط ، وانتا مش عبيط يا يوسف .

- مش فاهم ايه بالظبط ؟ ، عاوزة تقولى ايه ؟

- ايوه كمل استهبال بقى .. (ردت و هى مُنهارة و يختلط صراخها بكلماتها)

- ماهو انا مش عايز افهم غلط .

- بص .. انتا دلوقتى لو معرفتش اللى فى دماغى .. هنسحب من حياتك تماماً .

- (فداهمها بسؤاله) : بتول .. انتى بتحبينى ؟

- لأ .. (قالتها و سكتت تماما ، كمن ارتعد من المفاجأة)

- أومال ايه ؟ ، أنا مش فاهم حاجة ، انتى بتعيطى ليه و بتقوليلى الكلام ده ليه ؟

- مفيش حاجة ، خلاص يا يوسف .

- ايه الهبل دا بقى ؟ ، فى ايه يا بت ؟!

- أنا بحبك .. (قالتها و أغلقت الخط فى وجهه)

لم يسعد يوسف بهذه الكلمة ، بل كانت عبئاً عليه ، لأن اختياراته صارت محدودة جدا .

فلم يبقى أمامه الا اختيارين ، اما ان يقول لها ما تريد سماعه ، و حينها سيفوز بامتياز ممارسة الجنس مع أكثر من أمتعته فى حياته ، و لكنه سيعود بذلك لأفعال الماضى الطائشة فهو قد أقلع عن الكذب على البنات منذ فترة ، فلم يعد يوهم أحداً بالحب ، بل صداقة مع جنس فقط ، ولا حاجة للكذب و تحمُل ذنوب اضافية .

و إما أن يرفض ما تريده و حينها سيخسر بتول بكل ما تحمله من ملذات ، فهى تمثل له مخزن شهوات متحرك على قدمين !

و بما ان يوسف انسان شهوانى ، فقد اختار ان يُسمِعها ما تريد ، فاتصل بها و انهى المعضلة ..

- يوسف : أنا كمان بحبك .

- .... (لم ترُد بتول بأى كلمة)

- ايه يا بنتى مالك ساكتة ليه ؟

- لأ ، إنتا بتقول كدا عشان متزعلنيش بس ، إنتا لو بتحبنى كنت قولتها قبلى .

(يا بنت المر* إنتى عارفه انى بحب واحدة تانية و أنا قايلك ، إنتى بتشتغلى نفسك !) .. قالها يوسف فى سِره ، فى حين رد عليها قائلاً : لأ يا توته ، ماهو عشان إنتى بتحبينى أكتر .. قولتيها الأول .

و تحولت المكالمة حينها إلى رومانسية غارقة فى الجنس .

(صحيح ان الجنس مع الحب افضل بكثير ، لكن مشكلاته أكبر بمراحل ، خاصة لو وُجد حبيب سابق)

فى اليوم التالى ، ذهب يوسف الى الكلية و رأى سارة بمجرد أن دخل ، لم يستطع ان ينظر فى عينيها ، ليس لمحاولة إظهار التجاهل مثل كل مرة ، و لكن لأن جراءةً لم تأتيه لتجعله ينظر اليها ، و حينما استجمع كل ما يملك من قوة و شجاعة و نظر فى عينيها ، وجدها تحملق فيه ، تتبعه بعيونها التى كُتب عليها كلمات و أشعار ، أشعار الرثاء ، رثاء الحب الذى ضاع ، الحب الذى واجه مصير الخيانة ، فمصير الحب الآن أفظع من الموت ، و فى أقل من ثانية هربت منه جرأته التى جمعها هروب فلول الجيوش المهزومة ، و على الفور نظر الى الجانب الأخر .

لم تمر سوى بضع دقائق حتى قابل طارق ، فتبادلا السلام ، ثم جلسا على المقهى المجاور للكلية ، و بدأ يسرد له كل ما حدث بينه و بين بتول ، و كان الأغرب مما حكاه يوسف هو رد طارق ، حيث ظهرت الغيرة فى ردود طارق ، التى كادت تخرج من عينيه و أطراف لسانه ، استعجب يوسف قليلا ثم انحاز لصف طارق و اتهم نفسه بالغرور و سوء النية .

بدأ طارق يخبره بعض المعلومات المنقولة عبر يسرا ، فمنذ تعارف يوسف و بتول نشأت صداقة بين يسرا و بتول فى نفس الوقت .

أخبره طارق أن بتول تقول ان يوسف يعشقها ولا يستطيع ان يرفض لها طلبا ، و هذا صحيح لأن يوسف أوهم بتول بذلك ، إنما جاءت إضافة طارق مفاجِئة ليوسف ..

- دى بتقول ان انتا قَفَص و ان هيا مسيطرة على كل حاجة .

- أنا !! ، إيه يا صاحبى ، إنتا عارف أنا على إيه ، إنتا تعرف عنى كدا برده ؟! ، دا كلهم تحت جزمتى .

- يا صاحبى أنا بقولك اللى سمعته بس ، أنا مالى ، خد بالك بس .

- ماشى ، أصلا هيا كانت قيلالى إنها راحة ليسرا عندكوا فى طنطا إنهاردة و أنا شجعتها تقعد كام يوم كدا ، يمكن يسرا تلهيها عنى شوية ، أنا لا عارف أذاكر ولا عارف أكمِل الرواية اللى بدأت أقراها من شهر دى ولا عارف أعمل أى حاجة منها ، دى بتكلمنى كل ربع ساعة !

- أه مانا عرفت ، يلا يا عم هيص ، بس هيا هتروح إزاى بالجبس اللى فى رجليها ده ؟!

- ماهى أحمد أخوها هيشيلها و ينزل بيها السلم يحطها فى العربية و لما توصل هيشيلها يطلعها عند يسرا ، بس ، و يرجّعها بـ نفس الطريقة .

- وماله يا عم ، كله خير.

- عموما أنا هظبُطها إنهاردة على الكلمتين دول .

- ماشى ، بس متجيبش سيرتى أنا أو يسرا بقى ، عشان مش طالبة وجع دماغ.

- متخافش يا عم ، انا مش هعملها حاجة ، انا هنفضلها شوية بس عشان تتعلم الأدب .

- تمام ، بس راعى ان البت بتحبك برده .

- يا عم حبها بُرص ، انتا بتصدق الكلام ده !!

- يا عم هيا واقعة فيك بسبب الشعرتين الصُفر و العيون الملونة دى .

- ياشيخ اتنيل (قالها يوسف و قد شعر بالخجل و احمر وجهه) .

خرج يوسف من المقهى ، و ركب المواصلات المملة ، ثم اشترى علبة سجائر جديدة و عاد الى المنزل ثم تناول غذاءه ، و كتم صوت هاتفُه ، و وضعة بجوار السرير ، ثم راح فى نوم عميق ، و كانت بتول حينها قد وصلت الى بيت يسرا .

ذلك البيت الذى تقيم يسرا فى شقة كاملة لها وحدها فيه فى الدور الرابع ، تلك الشقة المكونة من صالة كبيرة تنبثق منها ثلاث غرف متوسطة المساحة ، تحتوى كل منها على سرير و مكتب و كرسى و جهاز حاسب آلى ، و الأهم من كل ذلك هو القفل الموجود على باب كل غرفة منهم ، فهو شرط أساسى لتوافر امكانية ممارسة بتول للجنس داخل غرفتها فى بيت يسرا .

استيقظ يوسف بعدها بـ ثلاث ساعات ، فـ أمسك بالهاتف ، وجد ثمانين مكالمة من بتول ، و عشرين اخرى من طارق ، فلو ان السماء انطبقت على

الأرض لما سمح لـ أحد ان يطلبه بهذا العدد من المكالمات !

اتصلت به بتول فى حينها ، فلم يرُد عليها ، و ترك الهاتف و دخل الحمام ، و استحم و خرج ، امسك بالهاتف مرة اخرى و اذا بطارق يتصل به ، فـ رد عليه ...

- إيه يابنى مبتردش عليها ليه؟! ، يسرا واكلة دماغى و عمالة تقولى بتول بتعيط عشان إنتا مبتردش عليها !

- يا عم قلبظ دماغك ، خليها تتربى ، مش هيا مسيطرة ، سيبها تعيش بقى .

- ياسطا مينفعش هيا تعرف إنى قولتلك ، أنا كدا هعملها مشكلة مع يسرا .

- يا عم متقلقش ، أنا مش هتكلم فى حاجة أساساً ، أنا هقولها كنت نايم و زهقان و مش عايز أرد على حد .

- طب رد عشان خاطرى .. كبر مخ أهلك بقى .

- ماشى .. طير إنتا .. سلام .

بعدما انهى مكالمته ، كتم صوت الهاتف مرة اخرى ، و استلقى على السرير و راح فى النوم لساعة اضافية ، كانت مليئة بالأحلام التى لا يتذكرها فى الغالب .

ثم فتح عينيه و حرك يديه على السرير حتى لمس الهاتف فأمسك به مرة اخرى ، فوجد عدداً اكبر من المكالمات و وجدها تتصل ، فقرر ان يرد عليها ...

- ألو

- إيه يا حبيبى إنتا زعلان منى ليه؟ ، هوا أنا عملت حاجة ضايقتك؟ ، و الله أنا اسفة بجد ، أنا مقدرش على زعلك يا يوسف ، إنتا عارف أنا بحبك قد إيه ، عشان خاطرى لو بتحبنى متزعلش بقى و النبى و الله يا يوســ ..

- قطع كلامها : بس بس بس ، فى إيه ؟ ، أنا مش زعلان ولا حاجة ! ، أنا كنت تعبان فـ عملت الموبايل صامت و نمت شوية، فيها إيه دى !!

- لأ انتا كنت بتتكلم فيه من شوية ، انا اتصلت لقيته مشغول !

- لا دا طارق كان بيتصل ، عشان كدا كان مشغول .

- أنا إفتكرتك زعلان يا حبيبى .

- و إنتى عملتى حاجة تزعلنى ؟

- لا والله العظيم ما أقدر، دا أنا كنت أموت قبل ما أعمل كدا يا حبيبى .

يوسف فى سِرُه (بقى لو هتموتى هتفتكرينى أصلا يا كدابة !)

- رد عليها : خلاص يا توتة مفيش حاجة و الله ، إنتى راجعة إمتى ؟

- لو عايزنى أرجع حالاً هرجع ، بس فيه فرح أنا كنت عاوزه أحضرُه مع يسرا لو مش يضايقك يا حبيبى .

- ماشى إحضرى الفرح ، هترجعى بكرة يعنى ؟!

- اه إن شاء الله.

- ماشى خلاص ، سلام .

- استنى يا يوسف ، اوعدنى انك مش هتعمل كدا تانى .

- ازاى يعنى !!! ، اوعدك انى مش هنام مثلاً ؟!

- لا مش قصدى كدا ، قصدى انك تقولى قبل ما تعمل كدا .

- لا و اللّه ! ، حد قالك انى خرونج اوى كدا ؟! ، هستأذن منك قبل ما انام !

- مش قصدى يا يوسف و اللّه ، قصدى بس ابقى عرفنى ، عشان مش اقلق عليك .

- اه ماشى ، ان شاء اللّه .

- انتا بتتكلم معايا كدا ليه يا يوسف ؟

- انا بتكلم عادى ، فكك بقى عشان أنا زهقان ، يلا روحى بقى جهزى نفسك عشان الفرح يا بتول ، و انا هقفل عشان مشغول .

- ماشى يا جوو ، هات بوسة بقى .

- لا .

- ليـــــــه بقى ؟!

- سلام يا بتول و نكمل بعدبن .. يلا باى .

انهى المكالمة ، و خرج من البيت ، و ذهب ليشترى علبة سجائر اخرى ثم اتجه الى اصدقائه فى المقهى ، فوجد لديهم من المخدرات ما يكفى لفرح كامل ، فجلس معهم ، و بدأ بالسجائر المحشوة ثم تلاها الدبابيس ثم المشنقة ، و كلها أشكال مختلفة لتعاطى الحشيش ، يتسابق كل اسلوب منها فى سرعة التخدير و قوة مفعوله .

ظل يشرب حتى شعر برئتيه تخرجان من جسده عندما يتنفس ، و كان عقله أيضاً خارج جسمه ، سارح فى عوالم غير عالمنا ، يرى ما لا يراه احد ، يضحك على اشياء لا تُهم بنى البشر ، و لا يدركونها من الاساس ، الرصيف بالنسبة له هو الدليل الوحيد على انه مازال يسير فى الطريق الصحيح متجهاً للبيت و لم يسقط فى ترعة أو تدهسه سيارة ، فهو يضع لنفسه كل العلامات التى يحتاجها ليعود لمنزلُه فى حالة شُربه للمخدرات ، فجلسات المخدرات لها ترتيبات خاصة بالنسبة له و أصدقاءه ، فالحلاوة شرط اساسى لترفع الدماغ الى السماء ، تليها قطع الشيكولاتة السادة ، ثم القهوة و السجائر العادية ،

ثم (المُفصِلات) ، و هى المواد التى تُرجع اليه عقله و ترد اليه الوعى و الادراك مثل المخللات و الحوادق بشكل عام ، و تُستخدم فى حالات الطوارئ فقط .

****

عندما رجع الى البيت ، و افاق من توهانُه ، تناول طعام العشاء ، و اتجه الى غُرفتُه و اغلق الباب و فتح كشكول سارة و بدأ يكتب و هوا لا يستطيع تحديد حالته ، ان كان فى كامل وعيه ام لا ....

((اعرف اننى خائن ، اعرف انكِ تستحقين من هو أفضل منى بكثير ، اعرف انكِ اكثر طهارة من ان ترتبطى بشخص مثلى ، و اعرف انه ليس من العدل ان ترتبط انسانة مثلك بـ قذر مثلى ، و لكن هذا هو الحب ، بعيد عن العدل دائماً .

أنا احبك بجنون ، و هذا ما يجعلنى اصبر بإرادتى و رغماً عنى ، فلو ان فتاة اخرى فرضت علىّ البُعد عنها لما جاءت فى بالى و لو لـ مرة واحدة ، و لكنكِ لم تغيبى عن بالى لحظة واحدة ، طارق يقول انكِ لم تحبينى يوماً ولا حتى لحظة ، فقلت له لو ما احبتنى ما أغمى عليها لحظة فراقنا و هذا اصغر دليل .

على كل الأحوال ، انا لا احتاج الى تقديم مبررات ، انا اثق فيكى و اثق فى حبك لى ، و لا يهزنى اى كلام اسمعه من اى شخص ، سواء كان ضدك او فى صالحك ، انتى لى فوق كل الشبهات ، تكفينى دمعتك التى سقطت منكِ أمام الجميع))

****

ذهب يوسف فى الصباح الى الكلية بعد غياب دام عدة ايام ، و كان يومه روتينياً و مملاً ، ما بين

المعامل و الأساتذة و المعيدين .. جميعهم يتسابقون لخنق الطالب .

و عندما عاد الى المنزل ، استقبل مكالمة بتول التى اخبرته فيها انها عادت الى المنزل فوجدت ذلك اللزج المسمى بـ (علاء) ...

((علاء : كائن لزج ، ثقيل الظل ، يملك جلداً شديد السُمك ولا يتأثر بـ أى استهزاء ، من الصعب ان تجرح كرامته .

قصير و سمين ، ذو بشرة بيضاء و شعر أسود ، و وجه دائرى ممتلئ باللحم كجسمه ، و دائم التعرق فهو كائن ملزق))

- إلحقنى .. الواد الحيوان دا بايت عندنا و شكله هيقعد كذا ليلة .

- و إنتى مالك و مالة؟

- يا جو دا حيوان بقولك ، دا بيدخل عليا الأوضة كدا من غير ما يخبّط ولا أى حاجة ، دا عيل قليل الأدب .

- طب ما تمسحى بيه الأرض .

- و الله غُلُبت معاه ، ببهدلة و مفيش فايدة ، عايز يرتبط بيا بالعافية كدا ، كلم بابا و ماما و أحمد أخويه مع إن أحمد أصغر منى ! ، و قالولى و قولتلهم لأ أنا مرتبطة.

يوسف فى سره (أحيه .. مرتبطة! ، أنا بتدبس ولا إيه !!) ، ثم رد عليها بعفوية : مرتبطة بـ مين ؟!

- نعم !!!! .. (قالتها بصوت عالى و لهجة شريرة مستنكرة)

- لأ لأ ولا حاجة ، طب والحل معاه إيه يعنى ؟!

- معرفش بقى ، أنا هكلم يسرا و هقولها إن أنا هقعد عندها كام يوم كدا لحد ما الواد دا يمشى ، و هقول لـ بابا و هيرضى إن شاء الله.

- طب إزاى بس ، إذا كان يسرا عندها إمتحان يا بنتى ، ماهو نفس الإمتحان بتاعى !

- عادى إحنا بنقعد فى الشقة اللى فوق عندها لوحدنا ، لما هيا تروح الكلية هبقى قاعدة لوحدى ، أو أنا و آية بنت عمتها .

- ماشى مفيش مشكلة ، بس إنتى هتفضلى تتنططى بـ جبسك دا كدا !!

- يووووه ، بطل تريقة بقى يا يوسف ، والله أفُكُه !

- لأ لأ خلاص ، أنا بنكُشك بس ، خلاص كلميها و روحى .

و بالرغم من الموقف العدائى الذى ينبغى ان يتخذه يوسف تجاه علاء ، الا انه شكر تلك الصدفة التى جعلته يتخلص من بتول لعدة ايام أخرى ، لأنها ستنشغل عنه بـ يسرا .

انهى المكالمة و بدأ يذاكر للإمتحان ، ثم سرح فى ذلك الـ (علاء) ، كيف انه يهين كرامتُه و يتقبل التجريح بهذه الروح الرياضية ! ، ماذا يملُك بعد كرامته هذا المعتوه اللزج ! ، علاء ذكّر يوسف بـ نهلة زميلته فى الكلية التى تقوم باصطناع الحجج لكى تقف بجواره فى الكلية و يراها الزملاء ، فهى تملك من اللزوجة كمّاً يجعلها قادرة على منافسة علاء ، عليكما اللعنة سوياً ، فمعدوم الكرامة لا يستحق ان يعيش !!

ثم انهى يومه مستلقياً على السرير و مُغطى بـ عدة كتب و بعض الأوراق و الملازم ، و مُنغرِساً فى ظهره بعض الأقلام !!

****

فى اليوم التالى ، استيقظ يوسف فى وقت متأخر و لم يذهب الى الكلية ، فقام ليتناول الافطار و يُكمل مذاكرته لإمتحان (البرمجة) الممل .

و اثناء مذاكرته جاءته مكالمة بتول (مُزعجة كعادتها) ...

- حبيبى معلش علاء الحيوان دا جاى مع احمد و هوا بيوصلنى ، بس غصب عنى و الله .

- !!!!

- (استكمَلت) : معلش يا يوسف بجد غصب عنى ، أدينى هروح و هخلص من أمه خالص لحد ما يمشى .

- ماشى مش مشكلة .

لم يُمثل الأمر أى مشكلة بالنسبة ليوسف ، و لكنه كان مضطراً للتمثيل عليها لكى لا تفتح له محاكمة ، لأنه يعلم انها اتصلت به خصيصاً لكى تستمتع برد فعله المملوء بالغيرة .

ردت بتول : شكراً يا حبيبى ، ربنا يخليك ليا يا جوو .

- و يخليكى ليا يارب ، يلا روحى عشان متتأخريش .

- أوكى ، سلام .

- سلام .

لم تمر نصف ساعة مكتملة و استقبل يوسف مكالمة اخرى من بتول تطمئنه عليها ، و انها قد وصلت لـ يسرا بسلام ، فاتفق معها ان تجلس مع يسرا بعض الوقت حتى يصحو من النوم ، ثم يتحدثوا مرة اخرى ، فوافقت و اغلقت المكالمة و لكنه لم ينم ، بل كتم جرس هاتفه و استمر فى مذاكرته ، حتى جاء الليل و نام و لم يستيقظ إلا صباحاً ، فبدّل ملابسه و انطلق الى امتحانه .

انهى يوسف الامتحان و اجاب فيه بشكل جيد ، و بينما كان متجهاً الى البوابة ، فإذا بـ نهلة تستوقفه ....

- يوسف .. ثوانى لو سمحت ، ممكن تجيبلى ورق الكورسات اللى معاك بكره .

- أوكى حاضر ، حاجة تانى ؟

- أه ، يسرا بتقولك إن بتول بتكلمك و إنتا مش بترد عليها و هيا قلقانة عليك أوى .

مرر يوسف يده على جيوبه فلم يجد الهاتف .

- شكلى نسيت الموبايل فى البيت يا نهلة .. خلاص لما أروّح هكلمها .. باى باى .

يوسف كان يعلم جيداً ان نهلة تملك ذلك الورق ، و لو لم يكن معها ، فهى تستطيع احضاره من المكتبة أمام الكلية ، و لكنه لم يحرجها ، و قال لنفسه " هعتبرها ذكاه عن صحتى " و ضحك ...

لما عاد يوسف الى البيت ، بحث عن الهاتف و اتصل بـ بتول و طمأنها عليه و على الامتحان ثم انهى

المكالمة و نام دون ان يتناول غذاءه ، بسبب شدة الانهاك و التعب .

(نهلة : فتاة قبيحة ، أكبر من يوسف فى السن إلا انها فشلت لعدة سنوات حتى صارت معه فى نفس السنة الدراسية ، و بالرغم من كل ذلك و من عِلمها بأمر ارتباطه بـ بتول إلا انها مازالت تحاول الارتباط به حتى بعد ان صارحته و رفض ، و كان رفضه لأنها قبيحة ليس أكثر ، فهو لا يريد ان يُعرف عنه انه كان على علاقة بهذه الحقيرة فى يوم من الأيام ، أيُعقل ان يرتبط بهذه الحقيرة أو حتى يمارس معها الجنس من بعد ملكات الجمال التى عرفهن قبلها !!)

****

- انا مش عايزه اعرفك تانى يا يوسف ، و لو جيت تتقدملى هرفُضك .

- ليه بس ؟

- انتا طلعت اوسخ من اللى سمعتُه بكتير اوى !

- و الله العظيم انا بموت فيكى ، انتى مش عارفة حاجة

- إنسانى .. إنسانى ..

قام يوسف مفزوعاً من حلمُه ، منتفضاً ، لديه رغبة شديدة فى ترك بتول ، مقتنعاً بشدة ان سارة تعلم بكل ما يجرى ، و على علم بخيانتُه لها ، و قرر حينها ان ينفصل عن بتول و يقطع العلاقات معها ، و فى لحظتها اتصلت به بتول ..

- إيه يا مُز

- إيه يا بتول

- بتول !! ، يعنى مش توته ؟!

- بصى يا بتول ، انا عايز اقولك حاجة مهمة جداً .

- شكلك مزاجك مش رايق ، تيجى نعمل حاجات ؟!

- حاجات ايه دلوقتى ، بقولك حاجة مهمة جدا .

- و هوا فيه اهم من كدا !!

- اه ده اهم .

- متأكد ؟ ، أنا لابسة البيبى دول الإسود على فكرة (قالتها فى لهجة ممتلئة بالإثارة)

- أبو فتحات من الضهر ده ؟ (قالها و قد نسى فكرتُه بالإنفصال عنها)

- أيون ، هوا ده يا برنس .

- طب إقلعى ....

مارس معها افعاله .. الممتعة ! ، و نسى الفكرة تماماً ، فـ بتول تملك قدرات خارقة على إخضاع و اقناع اى رجل مهما وصل لدرجات مرتفعة من التحكم فى النفس .

و تمنى لو ان ذلك الحادث اللعين لم يحدث ، فلولا هذا الجبس لكانا معاً الآن فى شقة بتول ، يفرغ كل منهما شُحنتُه فى الآخر .

****

فى اليوم التالى ذهب يوسف الى الكلية ، و مر يومه بشكل طبيعى باستثناء بعض المحاضرات و بعض الأساتذة المملين .

عادت بتول الى بيتها فى نفس اليوم فوجدت ذلك الـ علاء المستفز مرة أخرى ، و لما استفسرت عن الموضوع ، علمت انه كان سيرحل اليوم و عندما علم انها ستعود قرر ان يقيم عندهم عدة ايام اخرى .

و لكن وجوده لم يمنع بتول من فعل ما تريد ، فيكفيها فقط وجود مفتاح لـ باب غرفتها ، لكى تضمن عدم تطفل أى شخص عليها ، و من ثم تبدأ فى خلع ملابسها ببطء ، ثم تحريك يدها ببطء ، فهى تحب كل شئ تفعله لنفسها ان يكون بطيئاً ، أما ما يفعله يوسف فيجب ان يكون بأقصى سرعة ممكنة ، و على هذا الحال ...

استمرت بتول فى بيتها أكثر من اسبوع حتى فقدت الأمل فى رحيل هذا اللزج ، فقررت ان تعود لـ يسرا مرة اخرى ، فـ بيت يسرا أكثر راحة من بيتها بوجود هذا الـ علاء ! .. و فعلاً ذهبت و تمركزت فى الغرفة

المخصصة لها فى بيت بتول ، تلك الغرفة المريحة أكثر من غرفتها فى منزلها الأصلى المحتوى على اللزج .

فى هذه الأثناء ، شعر يوسف بأن طارق يتجنبُه دون سبب ، فهو لم يره منذ فترة ليست بصغيرة ، و حاول الاتصال به عدة مرات دون جدوى ، حتى عندما يذهب الى الكلية لا يراه !

أمسك يوسف بالرواية المشؤمة ، تلك التى لم يستطع ان ينهيها منذ عرف بتول ، و جلس على كرسيه الهزّاز ، وبدأ يلتهم صفحاتها ، حتى وصل لنهايتها أخيراً .

اللعنة على البنات و معرفتهم ، فهم يلهونك عن كل شئ مفيد ، و يحضونك على كل ما هو مُضر ، سواء بطريق مباشر او غير مباشر .


****

فى صباح اليوم الرابع لـ بتول عند يسرا ، اتصلت بتول بـ يوسف فى تمام التاسعة صباحاً حين كان نائماً و لم يذهب الى الكلية ، و كذلك يسرا ...

- ألو

- أيوة يا يوسف إنتا لسة نايم؟

- أكيد يا بتول يعنى ، الساعة 9 و انتى عارفة انى مش رايح الكلية !

- يوسف أنا حلمت إن أنا هموت و أنا راجعة إنهاردة فى العربية . (قالتها فى نبرة امتلأت بالرعب)

- خلاص إرجعى بكرة . (قالها مُبتسماً و هو يقاوم النوم و يخفى رأسه بين السرير و الوسادة)

- إنتا بتهزر !! ، بقولك حلمت إنى هموت ! (قالتها فى غضب)

- يا توتة إنتى عارفة إن الحلم من الشيطان ، دا غير إن أنا نايم دلوقتى ، و بعدين فى حد يصحّى حد على سيرة الموت كدا !!

- ماشى يا يوسف .. كمّل نوم ، أنا هروح أقعد مع يسرا و آية بنت عمتها شوية .

- ماشى لما أصحى هكلمك ، سلام

ثم غرق فى نومه مرة اخرى مُحاولاً الإمساك بأطراف حلمه المُثير ، فمن يوقظ شخصاً يحلُم بأنه تزوج (اليسا) يجب ان يُعدم فى ميدان عام !

لم تمُر نصف ساعة ، حتى اتصلت به بتول مرة اخرى و فرقت بينه و بين (اليسا) ....

- إيه تانى يا توته ؟

- يوسف .. إصحى و ركِز معايا كده .

- إيه يا توتة فى إيه ؟ (قالها و هو يحتضن لحافُه بين فخذيه و يتثاءب) .

- آية و يسرا حلموا نفس الحلم يا يوسف .

- حلم إيه ؟! ، و آية مين ؟

- إنتا هتستهبل ! ، آية بنت عمة يُسرا .

- مالهم ؟

- حلموا إن أنا هموت .

- انتى حكيتى ليهم حلمك ؟

- لأ ، قولتلهم انا حلمت انى هموت و خلاص .

- طيب يا ستى يبقى بيهزرو معاكى .

- لأ ، دول حكولى نفس الحلم بالظبط و انا مكنتش حكيتُه بتفاصيله .

- بطلى هبل يا توتة و النبى ، مش هتموتى ولا أى حاجة إن شاء الله ، و بعدين انتى شايفة نفسك من الأولياء يعنى عشان تعرفى انك هتموتى من قبلها !!

- لا أنا حاسة إن أنا هموت يا يوسف ، و بطّل هزار ، انا بتكلم جد .

- لا يا (بيبى) متخافيش ، روحى اقعدى معاهم و فرفشى عشان مش هسيبك تيجى عند يسرا تانى .

- ماشى ، يوسف ... أنا فكيت الجبس على فكرة .

- نعم !! ،إنتى هتستهبلى بروح أُمك ؟!

- يا عم فُكك بقى ، أنا زهقت و عايزه أشوفك .

- يا بنتى رجلك هتبوظ ، هوا هبل و خلاص ؟!

- خلاص يا جو بقى ، بقولك إيه .. أنا بحبك أوى .

- و أنا كمان بحبك ، بس أبوكى كدا هيزعق و هترجعى تعيطيلى و أنا مليش دعوة بقى .

- ماشى ماشى ، أنا هعرف أتعامل معاه .

- ماشى يا مجنونة .

- يلا خلى بالك من نفسك بقى .

- ماشى يا مُزه ، باى .

- باى

انهى يوسف المكالمة ، و تناول افطاره و بدّل ملابسه و انطلق الى صديق مريض فى نفس البلدة ليزوره و قضى معه النهار كله ، حيث انه مصاب بكسر فى ضلعين و فى الذراع الأيسر و شرخ فى عظام الحوض ، و كل ذلك لأن والده رآه مع فتاة داخل الشقة فـ امسك بشومة خشبية و انهال عليه ضرباً .

ذلك هو الظلم البيّن ، فهل اذا عُكس الأمر و رأى الفتى والده مع مرأة أخرى .. سيكسر له عظامه بهذه الوحشية !!

ثم انهى زيارته و قابل سيف و اصطحبه و جلسا على المقهى ، و بعد احضار القهوة و احجار المعسل ، بدأ يحكى له سيف عن مغامراته النسائية ، ثم سأله عن أحواله ....

- البت بتول بتاعتك دى عامله ايه ؟

- فكت الجبس بنت العبيطة !

- يا نهار اسود ! ، دى ممكن رجليها تتفشخ !

- مانا قولتلها يا عم ، بس مفيش فايدة ، و طلعالى بحوار جديد كدا من اول ما صحيت ... عايزه تخلينى اقلق و اخاف عليها بقى و كدا !

- حوار ايه تانى !

- هوا ايه الأولانى أصلاً ؟!

- مش اجبرتك تقولها بحبك !

- اه ، لا المرة دى حوار تانى خالص .

- ايه ؟

- بتقولى انا حلمت ان انا هموت و بتاع .

- ياااااااااه ، هيا متعرفش ان الحوارات دى عدت علينا كتير !

- هبلة يا عم و الله ، سيبها تعيش .. سيبها .

ثم انقطع الكلام لبضع دقائق ، حتى صاح يوسف ....

- هوا ممكن تموت بجد يا سيف ؟

- هههههههههههه ، انتا حبيتها ولا ايه يا جوو ؟

- يا عم اتنيل انتا كمان ، حبيت ايه مانتا عارف اللى فيها .

- أومال ؟

- أنا بسأل بس .

- انتا يعنى شايفها من الصالحين اوى عشان تعرف انها هتموت قبلها ، ياريت ياخويا كلنا نعرف قبل ما نموت ، كنا عرفنا نعمل حاجة لـ آخرتنا .

- مانا قولتلها كده ، ربنا يستر .

- ما هو هيستر بإذن الله ، بس انتا مالك بقيت قلبك خفيف أوى كده ؟

- بقيت ؟!! ، أنا طول عمرى قلبى خفيف يا سيف ، أنا منظر على الفاضى ، لعبة بلاستيك أقل عيّل صغير يدوس عليها يدغدغها ، سيبك من انى ماسك نفسى قدام الناس و كدا ، بص يابنى ... الزنى بتموت القلب ، و النجاسة بتبهدل البنى آدم ، بتخليك ماشى عارف كل لحظة انك هتلبس مصيبة ، و عارف ان كل اللى عملتُه هيتردلك فى يوم ، و عارف انك هيجيلك يوم و الدنيا هتحُط عليك و مش هتبقى ملاحق .

- ايه يا عم الدراما دى ، متفُك كدا و روّق ، تيجى نشرب سيجارتين ؟

- لا يا عم ، انا مش هشرب الهباب ده تانى ، بلاش قرف .

- يا نهار اسود !

- ايه ياخويا ! ، هوا انا بقولك انا هقتلك !! ، بقولك مش هشرب حشيش تانى .

- لأ لأ ، دانتا متغير خالص يا صاحبى (و قام سيف و نادى على العامِل و دفع الحساب)

- رايح فين ؟ (قالها يوسف)

- هروح أشوف حد اصطبح معاه يا عم ، و انتا غور يلا على بيتكوا .

- ماشى يا عم .

و عاد يوسف الى المنزل و كانت الساعة الثامنة و النصف مساءاً بعدما انهى عشاءه و جلس على كرسيه الهزّاز كالعادة ، سمع بعض الأغانى بصوت فيروز ، حتى اتصلت به بتول ....

- أنا نازلة لـ أحمد دلوقتى يا جو .

- طب مفيش حاجة ؟

- حاجة إية ؟! عايز إيه ياد ؟

- هتستهبلى ؟! ، إنتى فاهمة .

- أحمد واقف تحت يا يوسف .

- يلا تصبيرة سريعة كدا ، احمد مش هيطير يعنى !

- ماشى يا عم ، يلا .

- طب اقلعى بقى على ما اقفل الباب .

و انتهت العملية فى حدود الربع ساعة ، كانت سريعة و لكن مفعولها شديد .

ثم ارتدت ملابسها مرة اخرى و اكملت كلامها ...

- يوسف أنا عاوزة أقولك حاجة .. أنا محبتش حد فى الدنيا زيك !

- و أنا كمـــ ...

- قاطعته بتول : مش عايزاك ترد يا يوسف ، بص أنا سيبالك ورقة عند يسرا ، لو مُت و أنا راجعة هيا هتعرف توصلهالك ، ولو مموتش هتحرقها .

- يبقى هتتحرق يا مجنونة ، انتى لسه فاكره الحوار الفاكسان ده !

- اه فاكراه .

- ماشى ياختى .

- على فكرة علاء الرخم ده مع احمد اخويه تحت .

- نعم ! ، ازاى يعنى !! ، أومال انتى مروّحة ليه بقى ؟

- و انا هعمل ايه ، انا قعدت كتير عند يسرا و مش هينفع اقعد تانى .

- يا ربنا على ده بنى آدم !! ، عيّل معندوش دم ! ، المهم هتوصلى فى كام ساعة المرة دى ؟

- لأ احنا هنروّح على طول ، يادوبك ساعتين او اقل .

- توصلى بالسلامة ، إنزلى لـ أخوكى يلا ، و لما توصلى رنى عليا .

- أوك باى باى .

انتهت المكالمة و ركبت بتول السيارة مع احمد الذى يقودها ، و علاء الجالس بجانبه و بتول التى تفترش المقعد الخلفى وحيدة .

بدأ يوسف مذاكرتُه استعداداً للإمتحانات ، فـ استمر حتى الساعة الواحدة صباحاً حينما وجد هاتفُه يرن ....

- ايه يا طارق ، فينك كدا يابنى ؟

- ايه يا يوسف .

- واحشنى اوى يا واد ، انتا مش بترُد عليا ليه ؟!

- بعدين يا يوسف ، المهم بس ، يسرا واكلة دماغى على توتة ، و بتقولى تليفونها مقفول و مش عارفه توصلها من الساعة عشرة .

- يا طارق فكك ، هتلاقى أبوها فشخها عشان فكت الجبس و خد منها الموبايل .

- طب كلمها يا يوسف عشان أنا دماغى وجعتنى من يسرا .

- ماهو أكيد هيدينى مقفول أنا كمان !

- حاول و خلاص

- أوك ، بس بردو انتا بتتجنبنى ليه ؟ ، هوا انا زعلتك فى حاجة يا صاحبى ؟

- يا عم بعدين بقى ، مفيش حاجة أصلاً ، يلا بقى انا هنام و هكلمك بعدين .

و انتهت المكالمة و لم يحاول يوسف ان يتصل بها ، فقد كان منسجماً فى مذاكرته ، ولا يريد ان يتحدث مع احد لكى لا يخرج من جو المذاكرة ، فحتماً

سيحدث ما قاله يوسف ، ستتشاجر مع والدها بسبب الجبس ، و يعاقبها بأخذ الهاتف و يذهب بها الى الطبيب لكى يغلف قدميها بجبس جديد بدلاً من الآخر ، فما الحاجة للمكالمة الآن ، و فيما تجدى طالما هو مغلق كما قالت يسرا !

ترك يوسف الكتب و الملازم و قام بتشغيل الأغانى بصوت فيروز ثم أحضر علبة السجائر و القداحة و جلس على الكرسى الهزّاز فارداً جسده ، ثم وضع سيجارة بين شفتيه و مال برأسه كمن يستند بها على كتفه ناحية الشمال ثم أشعل السيجارة فى حركة سينمائية ساعد على كونها كذلك الضوء الخافت فى الغرفة و اهتزازه بالكرسى ، ظل يشعل سيجارة خلف الأخرى حتى قضى على العلبة كاملةً .

و فى تمام الثانية و الربع صباحاً ، نام دون ان يشعر بنفسُه .

الفصل الثالث

فى تمام الواحدة ظهراً فى اليوم التالى حين كان يوسف نائماً ، رن هاتفه برقم طارق ، فلم يرُد لـ عدة مرات متتالية كعادتُه عندما يكون نائماً ، طالما انها ليست فتاة ، فلا يوجد دافع قوى للرد ، و لكن عندما أصر طارق ، نهض يوسف على السرير و اجاب على المكالمة ....

- أيوه يا زفت عـ الصبح !

- إيه يا يوسف ، عاوزك فـ حوار .

- إيه ؟ ، فيه حاجة ولا إيه ؟

- لأ مفيش قوم بس فوق كدا و إغسل وشك و هكلمك تانى .

- إصطبحنا و صبح الملك لله ! ، ماشى ، سلام

و انتهت المكالمة ، ظن يوسف ان طارق يريد ان يحدثه فى سبب اختفاءه ، فقام يوسف بعدها مباشرة و استحم و بحث عن علبة السجائر فوجدها فارغة ، فنزل ليشترى اخرى من بائع مجاور للبيت ، و بينما هو عائد الى البيت ، اتصل به طارق مرة اخرى ....

- إيه يا طَروق ، إية الدنيا ؟

- إنتا فين دلوقتى ؟

- أنا طالع فوق السطح ... خلاص أنا فوق أهوه و ولعت سيجارة و إنتا لأ ! (قالها كمن يعايره بما يملكه من سجائر)

- بتول ماتت

- يا عم إنتا هتعملى حوار عشان قولتلك ولعت سيجارة و إنتا لا !

- بتول ماتت يا يوسف .

- بس يا عم القرد بقى ، قول بقى كنت عايزنى فـ ايه ؟ ، انتا هتموّت البت عشان سيجارة !

- (صرخ فيه طارق) : بقولك بتول ماتت .. بتول ماتت .. بتول ماتت !

سَرَت رعشة فى جسده مرت به بداية من قدميه حتى نهاية اخر شعرة بـ رأسه و كأن أحداً قد وصل اعصابه بكابل ضغط عالى عارى ، و قع على اثرها الهاتف من يده فخرجت احشائُه ، و ركع يوسف على ركبتيه رافعاً رأسه الى اعلى ، ثم هوى بجسدُه على بلاط الأرض الساخن ، حتى ارتطم وجهه بالأرض فـ شعر بالسخونة تلتهم جلد و جهه و لكنه فاقد السيطرة على اعصابه و عضلاتُه ! ، ثم أغمى عليه .

بدأ يسترد وعيه و ادراكه لما حوله مرة اخرى بعد مدة لم يشعر بها ، فـ فتح عينيه ، وجد نفسه مسنوداً على السور ، و يجلس على قطعة من السجاد القديم ، و بجانبه (هانى) يمسك بهاتفه و يتحدث فيه ، فمد يدُه ليتحسس وجهه ، فشعر بأن أحداً صب عليه ماء النار من شدة الألم ، اللعنة على آلام الحروق ، انها من ابشع انواع الألم .

وضع هانى الهاتف على أذنى يوسف ، و اذا بطارق يتحدث ...

- يوسف إنتا كويس؟!

- .... (منع الألم يوسف من التحدث ، فهو يشعر ان ناراً امسكت بوجهُه و لا شئ يُطفئها)

- يوسف رد عليا أبوس إيدك ، إنتا كويس !

- إيه اللى حصل ؟ (قالها كمن لم يقدر على نُطق غيرها)

- يسرا راحت البيت عند بتول النهاردة ، و الجيران قالولها إن أحمد و علاء بس اللى ماتوا و بتول لسه فى العناية المركزة ، إنما قرايبها اللى فى البيت قالوا إن كلهم ماتوا .

- (رد يوسف بمنتهى العصبية و هو يقاوم ألم الحرق فى وجهه): نعم ! هيا دى فيها لِعب دى كمان ! دا موت مش هزار ! ، إنتا تتأكدلى من الحوار دا حالا .. متتصلش بيا إلا لما تكون إتأكدت .

و أغلق الخط على الفور ، ثم أمر هانى بالنزول الى البيت و عدم اخبار احد بما حدث ، ثم سأله عن جرح

وجهه اذا كان واضحاً ام لا ، فرد هانى بالنفى ، حيث انه لم يلامس الأرض فترة طويلة ، لأن جسده عندما ارتطم بالأرض احدث صوتا فى سقف الشقة ، فصعد هانى ليرى ماذا يحدث ، و عندما وجدُه أنهضُه سريعاً .

انفجر يوسف بالبكاء بعد نزول هانى ، فمر عليه شريط علاقتُه بها كاملا أمام عينيه ، تذكر كل ما حدث بينهما بالتفصيل ، تذكر معاملتُه السيئة لها ، تذكر حلمها الذى تحقق ، تذكر كلماتها الأخيرة ، تذكر انه كان سبباً فى ممارستها للجنس قبل موتها مباشرة !!

كانت الأفكار تدور حول رأسه ولا يستطيع ان يلتقط واحدة منها ، فلا يعرف لماذا يبكى الآن ! ، أيبكى لأنه احبها ؟ ، ام لأنها كانت قريبة منه ، ام يبكى لأنه لم يصدقها عندما قالت انها ستموت ، ام يبكى لـ فكرة الموت نفسها ، كيف لم يخطر بـ باله انها من الممكن ان تموت فعلاً ، فمن منا بعيد عن الموت !

أصعب ما فى الموت هو الذكريات ، فهى الوقود الذى يشعل فى عينيك إذراف الدموع ، فلا تستطيع ان تنساها ولا ان تتناساها .

موت الاقربين هو القنبلة التى يقذفك بها القدر ، فلا تُشفى من اثرها .

تضيق بك الأرض و الأماكن حينها ، ولا تجد لنفسك مكانا تتنفس فيه من هواء ما قبل الفجيعة ! ، فكل الأماكن الآن .. تذكرك بها !
كل شئ ترى صورتها فيه .. كل حكاية تسمعها هى فى الحقيقة بصوتها .. كل موسيقى تصادفها .. كانت المفضلة لديها .. كل لوحة دعاية .. تحمل اسمها ! ..
و بالرغم من انك على يقين انها مصادفة ، و لكن تنمو بداخلك شبهة المؤامرة من كل تلك الأشياء ، فهل اجتمع كل هؤلاء لتتذكرها ! ، و هل انت نسيتها حتى تحتاج لمن يُذكرك بها !

فـ الموت .. هو الفجيعة التى تُفقدك كل أمل فى رؤية الفقيد مرة أخرى ، فهو اليأس الإجبارى الذى يقضى على كل ما تبقى فيك !
من قال عن الخيانة انها اقسى اسباب الفراق و اكثرها وجعاً ! ، بل ان الموت هو اقساها ، فلا يوجد مع الموت حلول أو فُرص أُخرى بديلة !!

رن هاتف يوسف مرة اخرى ، و اذا به طارق ...

- هاااا ؟

- ماتت يا يوسف .. ماتت .

اغلق المكالمة فى وجهه ، و خلع بطارية الهاتف و القاه بجانبه ، و عيونه تنزف دموع الفجيعة .

صعد هانى فوجده كما اسنده ، لم يتحرك و لم يهتز ، فقام بسندُه حتى باب المنزل و ادخله الى غرفتُه دون ان يراهما احد .

ظل يوسف صامتاً ، لا يستطيع استيعاب المفاجأة ، فكيف لمن كان يحدثها منذ بضعة ساعات و مارس معها الجنس و ضحك معها و لعب معها و بها .. ان تختفى من الوجود فجأة دون رجعة !!

دخلت امه الغرفة مصادفةً ، فوجدت يوسف جالس على السرير سانداً ظهره ، و يبكى بشدة دون صوت ، فـ أسرعت اليه و احتضنتهُ ....

- مالك يا يوسف .. الله أكبر .. فيه إيه يابنى ؟!

- ماتت يا ماما ، طلعت مش بتهزر و ماتت (كلامه يقطعُه البكاء)

- هيا مين دى اللى ماتت ؟

- .... (دموع غزيرة ولا يستطيع التحدث)

- مين يابنى اللى ماتت ، أعوذ بالله !

- بـ ... بـ ... بتول يا .. يا ماما !

- بتول مين ؟!

هنا تدخل هانى فى الحوار قائلاً : دى واحدة صاحبته أوى يا ماما .

ضمته أمه بشدة ، و واستهُ ببعض الكلمات التى تُقال فى مثل هذه المناسبات ، و التى تزيد الحزين حُزناً !!

قالت له : الله يرحمها و يصبر أهلها يارب ، إنتا كنت بتحبها ؟

- ....

- رد عشان خاطرى ، متقلقنيش عليك .

- لأ يا ماما ... بس كانت صاحبتى أوى .

- الله يرحمها و يرحم أموات المسلمين يابنى .

ثم ضمتهُ مرة اخرى و طبعت قُبلة على جبينُه و خرجت من الغٌرفة .

امسك يوسف بـ هاتفُه ، و اتصل بـ طارق ...

- ايه يا يوسف ، ازيك ؟

- حصل ازاى و امتى الكلام ده ؟

- عملت حادثة و هيا راجعة بالليل بالعربية و ماتت .

- متقولش ماتت دى ياله انتا ..
ثم ارتفع صوت بكاءه : قول أى حاجة تانية غير ماتت ، بلاش الكلمة دى ابوس ايدك .

- حاضر يا يوسف ، اهدى بس .

- (عادت دموعه مثل شلالات إفريقيا الاستوائية) : هـ .. هـ .. هيا كانت قيلالى ! كانت قيلالى إنها هتعمل حادثة و هتموت و هيا راجعة .

- !!!!!

- يوسف محاولاً ان يغلب دموعه المندفعة بغزارة شديدة : أه و الـ .. و الله .. كانت عارفه إنـ .. إنها هتموت ! (بصوت متقطع من اثر البكاء)

- طب إهدا يا صاحبى .. إهدا .

- مش قادر يا طارق ، مش قادر ، ياريتنى مُت قبل ما يعدى عليا لحظة زى دى .

ثم انتهت المكالمة ، دون ان يدرى كيف او متى انتهت ، فقد كان يوسف فاقداً لـ إحساسه بالزمن و بكل ما حوله ، كمن سقط من طائرة فوق الأرض بسنين ضوئية ، لا هو نزل ليصطدم بالأرض ولا هو مازال على متنها ، فهو مُعلق بين أنصاف الحالات ، نصف دهشة ، نصف ارتباك ، نصف حيرة ، نصف فزع ، و حزن كامل !!

مر هانى بجانبه بينما كان يتحدث الى سيف بالصدفة على الهاتف ، فأخذ يوسف الهاتف من يده ، و بدأ فى محاولاته لتجميع جملة واحدة يقولها لـ سيف ...

- تــ .. تعالى .. دلوقتى .

- فى ايه ياد .. مالك ؟

- تعالالى ... حالا .

- ماشى ماشى ، جايلك أهو ، سلام .

لم تمضِ الربع ساعة حتى حضر سيف ، و قد صعد يوسف وقتها الى سطح المنزل مرة اخرى لكى لا يراه والدة الذى سيأتى من عمله فى غضون دقائق قليلة .

بدأ يوسف يحكى لـ سيف ما حدث مقاوماً دموعه ، بينما كان كل منهما جالساً على الأرض ، و مستنداً بظهره على السور فى تمام الثالثة عصراً ، و الشمس حارقة ، احتضن سيف وجهه براحتيه و نزل برأسُه بين فخذيه و شرع فى البكاء .

طال الصمت بينهما ، و كأن سيف لا يجد ما يقوله أو لا يعرف ما يُقال فى مثل هذه المآسى ، حتى استجمع قواه و بدأ يواسيه ...

- انتا مُتأكد من الكلام ده ؟!

- ....

- رد يا يوسف ، انتا متأكد ؟

- هوا الموت كمان فيه مُتأكد يا سيف ! ، بقولك ... راحت ... بتول راحت خلاص (قالها و انفجر من البكاء)

احتضنه سيف و مرر يديه على رأسه و اردف ...

- طب ادعيلها يا يوسف ، هوا دا اللى هينفعها ، العياط مش هينفعها فى حاجة !

نظر اليه يوسف و عينيه تُدمع بغزارة ...

- انا اتكسرت يا سيف ، انا مكنتش مُتخيل ان حاجة زى دى ممكن تحصل ! ، دى راحت و هيا ...

- و هيا ايه ؟!

- ....

- رد ، و هيا ايه ؟!

- نجسة يا عم ، نجسة ، و أنا السبب كمان .. (صرخ فيه يوسف)

- خلاص يا يوسف ، هيا راحت للى خلقها ، هوا أحن عليها من اى حد .

قطع حديثهما معاً صوت أمه : إنزل كلم بابا .

نزل يوسف الى المنزل ، و ترك سيف وحيداً فوق السطح ، و دخل الغرفة فوجد والده جالساً ، فاقترب منه متماسكاً ، محاولاً عدم اظهار اى تأثر امامه ، فوالده شخصية جافة فى التعامل ، لا يقبل ان يرى ابنه يبكى تحت اى ظرف ، فطلب من يوسف الاقتراب ، ثم ضمه اليه و بدأ يواسيه هو الآخر ...

- كلنا هنموت يابنى ، محدش هيخلّد فى الدنيا ، صَلّى يا يوسف و إدعيلها بالرحمة ، دا اللى هينفعها دلوقتى .

- حاضر يا بابا .

- يارب اللى حصل دا يهزك شوية و يخليك تفكر فـ حالك اللى مش عاجبنى ده .

لم يكن حينها وقتاً مناسباً لشجار أو حتى نقاش ، فـ فضّل يوسف ان يكتفى بـ " حاضر " ، لكنه سرعان ما انهار امام كلمات ابيه و بدأ يبكى ، بدأ بكاءه بصوت منخفض كأنه يحاول كتمُه ، ثم ارتفع تدريجياً بعدما فقد السيطرة على نفسه ....

- كفاية عياط يا حبيبى ، انا مش مستحمل اشوفك كدا .

- حاضـ ... حاضر يا .. بابا (كان بكاءه يقطع كلامه ، فلا يُفهم منه شئ)

- يلا اطلع لـ صاحبك .

و بينما هو خارج من الغرفة ، استوقفته امه ، و وضعت يدها على وجهه لتمسح دموعه ، و فى نفس اللحظة سقطت دموعها هى الأخرى ، فمد يده الى وجهها ليمسح دموعها ، فما ذنبها هى لتعيش لحظة كئيبة مثل هذه اللحظة ! ، فلم يتحمل يوسف الموقف و على الفور سقط فى مكانُه .

اى صداقة تصنع بصاحبها ما فعلته بتول بـ يوسف ! ، هل يتلقى الآن حساب كل ما فعلة ببنات الناس ؟! ، صحيح ان المصائب عندما تأتى فإنها تأتى دفعة واحدة ، فدائماً ما كان يردد هذه الجملة و لكنه لم يتوقع ان تكون بهذه القسوة ، فجميعنا نردد شعارات و جمل و مبادئ نحكم بها على الآخرين دون أن نضع أنفسنا مكانهم و لو للحظة !
فلو ان احداً حكى لـ يوسف مثل هذه المأساة ، سيكون حكمة سريعاً و قاطعاً بأن كل طرف يجب أن يتحمل نتيجة أفعاله ، و هذه حقيقة ، انه يجب ان يتحمل ، لكنه لا يستطيع !!

افاق يوسف من اغمائه السريع ، فلم يجد حوله إلا سيف ، و بدأ يقص له ما حدث فى هذه الدقائق القليلة ، ان امه تشك فى امر حُبه لـ بتول ، و لكن سيف صمم على الحقيقة .. انها صديقتُه فقط .

دخلت امه بصينية الطعام بعدها مباشرة ، و لكن أحداً لم يقترب منها ، بعدها بمدة صغيرة عرض عليه سيف ان ينزلا معاً الى المقهى ، ليتحدثا معاً بحرية أكبر ، و للابتعاد عن جو البيت ، فرفض يوسف فى البداية ، و لكنه وافق بعد اصرار من سيف .

دلفا المقهى معاً ، و بعدما جلسا فى مكان بعيد الى حد ما عن عيون الناس ، طال الصمت بينهما ، فبدأ سيف فى تحريك مياه الحديث الراكدة ...

- إتكلم يا يوسف و طلع اللى جواك ، مينفعش تفضل ساكت كدا .

- ....

- إتكلم يا يوسف عشان خاطرى.

- هقول إيه بس يا سيف ! هقول إيه ؟!

- طب انتا مش هتروح العزا ؟

- ازاى يعنى ؟! ، أروح أقولهم ايه ! ، هقولهم انا صاحب بتول ؟!!

- قولهم أنا صاحب أحمد يا عم .

- مش هقدر ... مش هقدر أروح عزا بتول .. اذا كنت أنا مش قادر اصدق لحد دلوقتى انها راحت ! .. مش هقدر أشوف أمها و أبوها و هما كده .. يعنى أول مرة يشوفونى يبقى فى ظرف زى ده !

جاءت مكالمة لـ يوسف حينها ، استمرت فى حدود العشر دقائق ، و انفجر بعدها يوسف بالبكاء غير مكترثاً بالمقهى و زبائنه ! ، فلامست دموعه الأرض قبل أن يلامسها الهاتف الساقط من يديه ، فسأله سيف عما جرى فى تلك المكالمة عدة مرات ، و لكنه لا يستطيع ان يجمع قوته لكى يرد !

فتركه سيف حتى هدأ و اكتفى بدقات صغيرة من يده الموضوعة على كتف يوسف ، ثم بدأ يوسف يتحدث ...

- طارق بيقولى .... بتول و هيا بتموت ....

- كمّل يابنى ، فيه ايه ؟

- و هيا بتموت كان فيه واحد ماسكها على إيده ... و بينطّقها الشهادة ، قالتله قول لـ يوسف إنى بحبه أوى ... و نطقت الشهادة و ماتت .

صرخ يوسف بعدها كأسد مجروح ، فهو لا يكترث بالناس ، ولا بشكلُه امامهم ، ولا بأى شئ ، فمن يهتم بتلك التفاهات امام فجيعة الموت !

ادمعت عيني سيف على اثر ما حكاه يوسف ، فكيف لهذه الفتاة ان تحبُه بهذه الطريقة و هى متأكدة انه لا يحبها ! ، و لماذا اوصلت نفسها الى هذه الدرجة !

قام سيف ليدفع الحساب ، ثم انطلق ليوصّل يوسف الى البيت ، و أثناء السير ، بدأ يوسف يتحدث دون وعى بما يقوله كلام شبيه بالهذيان ...

- تفتكر إنسان زبالة زيى كدا يستاهل دا كله ؟ ، دى كانت بتموت ، يعنى مستحيل تكون بتمثل ، يعنى فعلا كانت بتحبنى أوى زى ما كانت بتقول ، ماهو محدش بيمثل ولا بيكدب و هوا بيموت ! ، أنا مين عشان تحبنى بالطريقة دى ! و ليه ؟ ، بقى هيا تنسى أبوها و أمها و اخواتها و صحابها و تفتكرنى أنا !! ، هيا لو عرفت أد إيه أنا قذر مكانتش قالت كدا و هيا بتموت ! ، إنتا متخيل أنا أد إيه مفشوخ ! ، أنا هموت على واحدة منفضالى و مش بتعبرنى ، و

واحدة تانية وهيا بتموت بتنسى كل ما ليها و تفتكرنى أنا !!

****

لما عاد يوسف الى البيت ، أغلق هاتفُه و دخل غرفته مباشرة متجنباً ان يرى احداً وجهه ، و رفض تناول اى طعام ، ثم بدل ملابسه ، و امسك بقلمه و بدأ يكتب ...

فـ يوم عرفت واحدة ... بس مشوفتهاش

كلمتها و ضحّكتها و شيلت معاها همها ... بس مشوفتهاش

قولتلها عنى كل حاجة ... مع إنى مشوفتهاش

حبيت كلامها و زعلها و عياطها و حزنها ... بس محبتهاش

كنت مستنى اليوم اللى هشوفها فيه .. عشان أبطل أقول إنى .. لسة مشوفتهاش

بس النهاردة عرفت الحقيقة .. الحقيقة الدنيئة ..
إنى هفضل طول عمرى أقول .. إن أنا مشوفتهاش

لإنها ماتت ... و أنا مشوفتهاش !!!

النتيجة حتى الآن ...

اننى احب إنسانة إرتاحت فى البعد عنى ، و استطاعت ان تُكمِل حياتها بدونى .

عرفت اخرى ، أجبرتنى على كلمة " بحبك " ، و بالرغم من اننى كنت قادراً على عدم النطق بها ، إلا اننى كنت أعشق الجنس معها .

حتى الأن ، الأولى مازلت أحبها و مازالت مرتاحة فى البعد عنى ، و الثانية ماتت و انا الوحيد الذى تذكرتهُ قبل موتها مباشرة ، و مازلت أحب الأولى أيضاً !!

الأهم من كل ذلك ، اننى اكتشفت اننى لم أستطع أن أكون مخلصاً لمن أحببتُها ، و لم أستطع ان أحب من أحبتنى ! ... فـ أنا ظالم .

****

فى الصباح اتجه يوسف الى الحلاق الممل ، ذلك الذى لا يتوقف اندفاع كلماته من فمه ! ، فهو يتكلم فى كل ما يفهم و ما لا يفهم ، ثرثار بدرجة لواء !

حلق شعره بالكامل ، و أصر على استخدام الموسى و الصابون لكى لا يترك أى شعرة برأسه ، ليجعل شكله قبيحاً .

فهو لا يعرف ان كان ما فعله عقاب له ام لمساعدة نفسه على تقليل حبه لها و غروره بها .. و لكنه فعل على أى حال !

ظل يحملق فى وجهه عند الحلاق اثناء ازالة الشعر ، كيف ان مثل هذه اللحظات تمر عليه و مازال حياً ! ، فهو لم يتخيل يوماً انه قد يمر عليه هذه المواقف القبيحة ! ، فما أقبح من هذا الموقف !! ، حتى أدمعت عيناه بعد محاولات عديدة لصد اندفاع الدموع ، ثم اخفائها بعد فشل منعها .

فتح يوسف هاتفه ، و فوجئ بـ (سـها) أخت بتول تتصل به ، رد عليها فى مكالمة استمرت حوالى ربع ساعة ، لم يفهم منها شيئا واحدا ، فـ كان محور كلامها عن بتول بالطبع و لكن بطريقة غريبة ، و زادت دهشته و عدم فهمه لما تقول بسبب سؤالها العجيب (لو بتول لسه عايشة .. هتعمل إيه ؟) ، لم يستطع الرد فى البدايه ، و لكن بعد الإلحاح رد بطريقة شعر انها قاسية بعد انتهاء المكالمة : (مش هتفرق حاجة دلوقتى يا سها ، هيا كدا كدا راحت و خلاص ، الأسئلة دى ملهاش لازمة) ، و بدأت المناقشة تحتد بينهما ..

- إنتا بتحبها أصلا ؟

كان وضعه سئ جدا ، فهو حقيقةً لا يحبها ، ولكنه لا يستطيع أن يبوح بذلك أمام سها فى مثل هذه الظروف ، فلا يمكن ان تموت اختها ولا تتذكر إلا يوسف ثم يقول لها يوسف انه لم يحبها للحظة ! ، فاختار أن يُكمل كذبتُه ، فلعلها تكون الكذبة الأخيرة ، لأن صاحبة الشأن ماتت ..

- يوسف : أه كنت بحبها .

- كنت !! إيه كنت دى ؟!

(صاح فيها غاضباً) : فى إيه يا سها ؟! ، أنا مش ناقص كفاية اللى أنا فيه ، هيا ماتت و خلاص ، هتفرق معاكى إيه دلوقتى !

- مش هتفرق حاجة ، أنا كنت هقولك حاجة مهمه جدا ، بس بعد كلامك دا مش مهم تعرفها بقى .

- قولى يا سها .

- لا خلاص ، هوا انتا عرفت من النعى اللى اتكتب على صفحتها على الفيس ولا منين ؟

- لأ ، يسرا قالت لـ طارق و طارق قالى .

- ماشى ، يلا سلام بقى .

- مش هتقولى ؟

- لأ .

- ماشى براحتك ، أنا مش ناقص ، سلام .

بعد انتهاء المكالمة ، تذكر يسرا و الورقة التى تركتها بتول عندها ، تلك التى لا يعرف ما كُتب فيها .

فـ اتصل بـ طارق و طلب منه ان يسأل يسرا عن هذه الورقة .

و عرف بعدها ان الورقة موجودة و يستطيع أخذها فى أى وقت ، فقرر أن ينزل الكلية فى اليوم التالى ليأخذها .

احتار يوسف فى أمر تلك الورقة ، فماذا تكون كتبت فيها ؟ ، ترى ماذا يكتب من يعلم بأمر موته فى ورقة لحبيبه قبلها بساعات قليلة ! ، يوسف لا يريد المزيد من الجروح ، فقد تمنى للحظات ان تكون كتبت له انها لا تحبه و كانت تخدعه تلعب به و بمشاعره ، سيكون ذلك أفضل حل للخروج من الأزمة ، و عدم تحمل أى مسئولية لما حدث ، بهذه الطريقة سيتخلص من الذنب بسهولة ، فهو الآن يحمّل نفسه ذنب كل ما حدث و كأنه هو من قتلها !

****

اتصل بطارق صباحاً ، قبل الموعد المُتفق عليه ....

- إنتا فين يا طارق ؟

- إحنا فى الكافتريا اللى جنب الكلية أهوه .

- إحنا !! ، إنتوا مين ؟

- أنا و يسرا و نهلة

- إيه جاب نهلة دى ! ، دا وقتها يعنى !

- ....

- ما تنطق يابنى ، خِرست ولا ايه ؟!

- أنطق إزاى يعنى ، متخليك مفتح كدا يا عم يوسف .

- أه صحيح ، دى جنبك ، ماشى أنا جايلك أهوه

وصل يوسف الى الكافتريا ، فوجد الثلاثة جالسين حول طاولة دائرية تحمل ثلاثة أكواب من الشاى و طبق به بعض بواقى الطعام ، فـ القى عليهم السلام دون أن ينظر فى وجه أحدهم مباشرة ، ثم سحب كرسى و جلس بجانب طارق ، فجاء نظرُه ناحية يُسرا ، ثم نظر لا ارادياً فى عينيها اللامعتين من اثر البكاء الذى توقف لحظة دخوله ، فتذكر كل شئ ،

فحاول ان يسيطر على نفسه ، و قاوم كثيراً جدا ، لكنه فشل فى النهاية ! ، نزلت دموعه بكثرة ، دموع بلا صوت ، فبكى على اثر دموعه كل الجالسين .. ماعدا نهلة المبتسمة !!

سبب ابتسامة نهلة كان مجهولاً ، و يوسف لم يحاول ان يسألها عن السبب ، فلا يملك من طولة البال ما يكفى لمثل هذه المواضيع التافهة ، هى غبية و هو يعلم ، فكيف لمن يضحك فى وجود ميّت ألا يكون غبياً !!

انتظر يوسف حتى هدأ و توقف بكاء الباكين ، و سأل عن الورقة ، فـ أخرجتها يسرا من حقيبة يدها ، و خرج مع الورقة مشبك شعر ذهبى اللون ، فجاءةُ هاتف خفى لا يعرف من أين أو كيف أتى بأنه لبتول ...

- مد يده لـ يسرا : هاتى التوكة .

- توكة إيه ؟

- الدهبى دى ، دى بتاعت بتول الله يرحمها .

- تبادلوا جميعاً النظرات المندهشة ، ثم ردت عليه يسرا : إنتا عرفت منين إنها بتاعت بتول ؟

- مش مهم ، المهم إن أنا هاخدها مع الورقة .

- خلاص أوكى ، إتفضل .

و استطاع يوسف اخيراً ان يحصل على الورقة من يسرا ، بعد رفض شديد من نهلة ، على اعتبار انها تخاف على يوسف من هذه الورقة و ما كتب فيها فعلى حد قولها " لحسن تعمل حاجة فى نفسك " ، لم يعيرها يوسف اى اهتمام و لم ينظر لها و هى تتحدث ، فكان نظرة على المشبك الذهبى و الورقة .

كان يوسف فى وسط كل هذه الهموم لا يطيق نهلة ولا تصرفاتها ، فوصلوا فى النهاية لاتفاق ان يبقى طارق معه الى أن يقرأها و يأخذها منه و لا يتركه يعود بها الى البيت .

اخذوا الورقة و مشبك الشعر و انطلقوا ، الى أن وصلوا كافيتيريا هادئة ، و استقروا فيها ، و فتح يوسف الورقة ، و بدأ يقرأها .

لم يشعر بـ نفسه بعدها إلا و هو يفترش السرير فى غرفته المظلمة ، ينام على بطنه و يغطى وجهه بين

المرتبة و الغطاء ، يبكى بشدة ، يشعر بأنه أخطأ فى شئ لا يمكن الرجوع عنه ، فالآن ما انكسر لا يمكن إصلاحه ، فهل يمكن لمن مات أن يعود للحياة مرة أخرى !

ثم قام و استند بظهره على الحائط و هو جالس على السرير ، و أمسك بـ أوراق مُجمعة ببعضها بمشبك معدنى اسود ، و بدأ يكتُب ما ..

((بتول كانت تعلم بأمر موتها خلال عودتها من بيت يسرا ، و قالت انها تحبنى كثيرا و انها تعلم اننى ما احببتها يوما و اننى مازلت أُحب من سبقتها ، و حذرتنى من نهلة و ان أفكر ان أرتبط بها ،و أمرتنى بعدم ممارسة الجنس مع أحد بعدها ، فـ طالما لم تستطع ان تكون الأولى ، فلعلها تُصبح الأخيرة ، و أخر شئ كان فى الورقة " اوعى تنسانى يا يوسف ، دايماً افتكرنى ، افتكر ديل الحصان اللى كنت بعملهولك و الروج الأحمر و الكُحل الاسود "))

إحساس يوسف و هو عائد الى البيت لا تصفُه كلمات ، إحساس جعلُه معزول عن الدنيا عزل تام ، إحساس جعله غير مدرك بأنه يبكى أمام الناس بصوت مرتفع فى المواصلات ، و المؤلم أكثر من ذلك نظرة الناس اليه ، كانت تذبحه ألف مره ، الجُمل

التى قرأها فى عيون الناس كانت تُزيد من صعوبة المهمة التى تفوق قدراته من الأساس !

كانت أكبر هموم يوسف من قبل ان يُكمل مصروفه الشهرى معه حتى نهاية الشهر دون الحاجة لاقتراض بعض المال من الأصدقاء فكيف له الآن ان يتحمل أمراً كهذا ! ، و من بعد ما كان يوسف بطل المسلسلات و الأفلام الرومانسية الهابطة ، المصنوعة خصيصا لعرض مشاهد إباحية دون وجود مغزى ، أصبح الآن بطل لنوع جديد من الأفلام هو لا يعرفه ، نوع قاسى يحمل فى طياته فلسفة الموت التى لم يتوقعها أبدا و لم تخطر له بـ بال .

مكالمة سيف قطعت أفكاره ...

- إيه يا يوسف عامل إيه ؟

- تعبان يا سيف .

- ليه يابنى ؟

- أنا بموت يا سيف ، أنا مش قادر أقوم على حيلى تانى بعد اللى حصل .

- يا صاحبى إنتا راجل ، و هتقوم تانى ، و هتبقى أحسن من الأول كمان .

- تصدق وحشانى أوى !! ، نفسى أسمع صوتها بس ، عارف لو ترجع يا سيف ، و الله العظيم أنا ممكن أعملها أى حاجة ، أنا ممكن أتجوزها !

- تتجوزها مرة واحدة !! ، ماهى كانت قدامك و عمرك ماقولت كده ! ، إنتا بتحبها ولا إيه ياض ؟!

- هوا ينفع أحب واحدة بعد ما تموت ؟

- سكت سيف ثم اردف : مش عارف !

انهى يوسف المكالمة بعد كمية لا يُستهان بها من المواساة و المؤازرة .

لم ينم يوسف لحظة واحدة ليلتها ، ضربت الأفكار رأسه كالإعصار ، تضربه و تهتز داخل دماغه بعشوائية ، كانت الأسئلة أكثر من الأجوبة ، و من الأسئلة ما ليس له إجابة ، مصيبته لا يستطيع مشاركته فيها أحد ، لا يمكن أن يتحملها غيره ! ، فهى مُفصلة لفرد واحد مُعين و هو يوسف سمير .

****

فى منتصف اليوم التالى ، دق جرس هاتفه ، فإذا بها يسرا تتحدث إليه لأول مرة منذ عرفها ...

- إزيك دلوقتى يا يوسف ؟

- أهو ... عايش و السلام .

و بدأت تسرد له تفاصيل خلاف تافه بينها و بين طارق ، بعد الكثير من الاعتذارات لأن الوقت غير مناسب .

كان جديداً على يسرا اتصالها بـ يوسف ، و لما لمّح لها بهذا الأمر ، زعمت بأن طارق من طلب منها ان تتصل به لتحكى له المشكلة و ليحكم بينهما .

و بمرور ثلاثة أيام فقط كانت علاقة يوسف بـ يسرا قد توطدت بشدة ، و أصبحوا أصدقاء ، و تتصل به عدة مرات يوميا ، دون ان يدرى يوسف كيف و لماذا وصلت

العلاقة لهذا الحد ، فعقله شبه متوقف عن العمل ، ولا يفكر بـ اى شئ .

فى اليوم الرابع ، اتصلت نهلة بـ يوسف ، و لامت عليه كثيراً انه لا يرد عليها ، و أظهرت بعض الحزن فلم يعيرها يوسف اى اهتمام ثم دخلت بالموضوع و حكَت له أمرا غريبا ، حيث قالت له انها شاهدت سارة تحمل حقيبة رجالى سوداء لها ذراعين و كل البنات يتحدثون عن هذا الموضوع و يُقال أنها خاصة بـ (محمد الشامى) .

(محمد الشامى : شخص اجتماعى جدا ، مشهور فى الكلية ، كان يريد الارتباط بـ سارة و لكنها رفضت)

- يوسف رد عليها : يا بنتى دا هوا كان عايز يكلمها و هيا رفضت !

- أه مانا عارفه ، أنا بقولك اللى شوفته و اللى سمعته يا يوسف .

- ماشى يا نهلة ، شكرا .

و انهى المكالمة ثم أمسك أوراقُه ....

((ماذا أصاب عقلك أيتها المُعاقة ذهنياً ! ، ألا يكفيكِ انكِ تكبُرينى بعدة سنوات لكى تنسى موضوع الارتباط ! ، ألا يكفيكِ اننى أعاملكِ باحتقار ! ، ألا يكفيكِ انكِ طلبتِها منى بشكل مباشر و انا رفضت ! ، ألا يكفيكِ اننى أحب سارة و انتى تعلمين ! ، ألا يكفيكِ موت بتول ! ، ماذا يدور بعقلك أيتها الغبية ؟! ، تريدين الإيقاع بينى و بين سارة ! ، فليذهب عقلك الضيق الى الجحيم))

****

مرت عدة أيام من الرتابة المخلوطة بالكآبة و البكاء ، لم ينس يوسف ما حدث لـ بتول ، و لم يستطع حتى أن يتناسى ، فـ أى قلب ينسى مقربيه بعد موتهم ! ، بل من يستطيع أن يتدارك حقيقة الموت بسهولة ، فمن يمت له قريب ، يظل فترة لا يستطيع تصديق ما حدث ، حالة من الذهول تصيبه و تضرب عقله ، فى كل لحظة يتخيل انه سيرى الفقيد مرة أخرى ، و فى اللحظة التى تليها يبكى لأنه أكتشف انه من المستحيل ان يراه مهما حدث !

ظل يوسف على حالته حتى جاء الليل ، و جاءته مكالمة نهلة الثانية .

فكان مُلخص المكالمة أنها رأت سارة مرة أخرى تحمل نفس الحقيبة ، و أن هناك زميلة فى الكلية تقول إنها رأتها و هيا تقف بجانب (الشامى) و تأخذها منه و تتحدث اليه .

لم يعطها يوسف أى رد فعل ، فـ استقبل كلامها بصدر رحب ، و انهى المكالمة و ودعها بمنتهى الهدوء ، أحضر أوراقه و بدأ يكتب ..

((ثقتى فى سارة ليس لها حدود ، بالرغم من مقولة " لا يوجد دخان بلا نار " ، لكن سارة دائما ما كانت صاحبة كل حالة شاذة و مُخلة بالقواعد فى حياتى))

****

ذهب يوسف الى الكلية ، لم يقصد باب المدرج ولا مره ، كان يتجول فى انحاء الكلية باحثا بين الوجوه عن وجه بتول ، خُيل إليه انه لمحها عدة مرات ،

فتتبع اثرها و استوقفها ، و سألها اين كانت كل هذه المُده و لماذا عذبته بهذه الطريقة ، و لكنه صُدِم لما اكتشف انها ليست بتول .

جلس بجوار شجرة ، و شرع فى البكاء ، و ازدادت حدة البكاء بمرور الوقت ، حتى رأى سارة ، قادمة من البوابة الرئيسية للكلية و لا تحمل أية حقائب سوداء ، فلعن نهلة و لعن اليوم الذى عرفها فيه ، و مسح دموعه و تتبع أثار خطواتها حتى دخل المدرج خلفها ، فلم يجد مكانا إلا بجانب محمد الشامى ، فسلم عليه و جلس بجانبه ، ولاحظ اهتمامه الشديد بالحقيبة السوداء التى يحملها ، فهو يمسحها بأطراف قميصه كل دقيقة ! ، و لكن لم يشغله الأمر أكثر من عدة ثوانى فقط ، و عاد فِكرُه لـ بتول مره أخرى .

عندما عاد للمنزل تلقى مكالمة من يسرا ، أحس يوسف على اثرها أنه فقد كل شئ عندما قالت له أنها شاهدت سارة تحمل حقيبة الشامى اليوم ، و عندما سألها عن الساعة ، أجابته : " لما إنتا رجعت البيت كدا "

قرر يوسف إنهاء صراع الشكوك بداخله بأن يتصل بصاحبة الشأن نفسها و يسألها ، و قد كان ...

تحدث يوسف إلى سارة لأول مرة منذ الافتراق ، و نفت تماما علاقتها بأى حقيبة و بذلك (الشامى) ، و اتهمته أنه يشكك بأخلاقها و ينتقص من قدرها بشكل كبير بهذا الاتهام ، فمجرد تصديقه لمثل هذا الكلام أو الإصغاء اليه يُمثِل خطأ كبير فى حقها ، و لأنه يحبها و دائما ما يصدقها و يتعامل معها بكامل إحساسُه ، فصدق كل كلمة قالتها ، و كانت أول مره يتصل فيها بـ سارة منذ ثلاثة شهور ، و كأن تلك الفتاة هى من يعطيه جرعة الحياة اللازمة له ليُكمل ، هى من يمده بالأكسجين ليعيش ، و كأن الله رتب موضوع الحقيبة السوداء هذا ليجعله يسمع صوتها مرة أخرى فى مثل هذه الظروف الصعبة ، فلو ان نهلة الحقيرة فعلت شيئاً واحداً تُشكر عليه فى حياتها كلها .. بالتأكيد سيكون تأليف ذلك الموضوع الذى تسبب فى تلك المكالمة .

و بمجرد ان انهى المكالمة حتى وجد يسرا تتصل به ، فلم يرد عليها لعدة مرات ، و فى المرة الأخيرة ، اضطر أن يرُد ...

- إيه يا يسرا ؟ انا تعبان و هنام دلوقتى .

- لأ لأ مش هتنام لمدة كام يوم .

- نعم !! ، أبوس إيدك أنا مش مستحمل ، مين اللى مات تانى ! ، أنا لسه قافل مع ساره مش معقول هيا اللى ماتت !!

- لأ محدش مات متخافش .

- طب إخلصى ، فى إيه ؟

- بتول لسه عايشة .

- وحيات أمك !! ، إخلصى لحسن أقسم بالله هقفل فى وشك ، و مفيش هزار فى الموضوع دا نهائى .

- و الله و الله و الله بتول لسه عايشة ، بس مش عايشة أوى يعنى .

- نعم ! ، انتى هتستهبلى ! ، اقفلى يا بت (صرخ فيها)

- طب اهدى بس و انا هفهمك .

- اتهببت هديت اهو ، ايه عايشة بس مش اوى دى ! ، هتهزرى فى الموت كمان ؟!

- يابنى افهم بس ، بتول عايشة بس فى غيبوبة .

- .... (تحول وجهه لعلامة استفهام)

- يوسف .. ؟ ، انتا روحت فين ؟

- إنتى بتشتغلينى ؟! ، فى غيبوبة إزاى يعنى ؟ أومال أهلها قالوا للدنيا كلها إنها ماتت ليه ؟! ، هما هيقولوا على بنتهم ماتت و هيا لسه عايشة !!

- أنا كمان مكُنتش مصدقة أصلا ، بس أنا زنقت سها و ريهام فى الكلام و فهمونى كل حاجة ، هيا لما عملت الحادثة مع علاء و أحمد ، هما الإتنين ماتوا ، وهيا أغمى عليها من الخضة و فاقت لما الناس طلعوها من العربية ، قامت قيلالهم قولوا لـ يوسف إنى بحبه أوى ، و إتشاهدت و دخلت فى غيبوبة ، فـ الناس إفتكروها ماتت ، فـ لما إتصلوا بـ أهلهم قالوا إن التلاته ماتوا ، بس .

- أومال هما كملوا كلامهم على إنها ماتت ليه لما هيا كانت لسه عايشة ؟

- عشان هيا لما راحت المستشفى ، الدكتور مكانش راضى يستلمها ، و كان بيقول إنها كدا كدا هتموت فـ ملهاش لازمة المصاريف و التكاليف دى و قالهم سيبوها نص ساعة تطلع فى الروح و خلاص ، فـ هما قالوا انها ماتت و خلاص لإن الأمل فى إنها

تعيش ضعيف جدا ، و بعدين فاكر لما سها كلمتك و قعدت تقولك لو عرفت إنها عايشة هتعمل إيه ، و سألتك إنتا بتحبها ولا لأ ؟

- أه فاكر أنا مفهمتش منها حاجة يومها .

- أه ما هيا يومها كانت ناوية تقولك إنها عايشة ، بس لما إنتا دخلت فيها شمال ، غيرت رأيها .

- لأ لأ ، فكك من الهرى ده ، أنا مش مصدق .

- يا عم و الله زى ما بقولك كده .

- يا ستى الكلام ده مش منطقى أساساً ، طب اشمعنى قالوا دلوقتى ؟

- هما مقالوش ، دا انا اللى زنقت ريهام فى الكلام لما كنت قاعدة عندهم فى البيت .

- ازاى يعنى ؟

- سمعت سها و ريهام بيتكلموا ، و أول ما دخلت قاموا ساكتين ، و لما سها خرجت من الأوضة بقى قعدت اتكلم مع ريهام لحد ما قالتلى .

- و انتى تعرفى ريهام دى أصلاً ؟

- شوفتها مرتين كدا لما كنت عند بتول الله يرحمها فى البيت .

- الله يرحمها ايه بقى ؟!

- يا عم الرحمة تجوز على الميت و الحى .

- حلو أوى ، يعنى بتول عايشة و فـ غيبوبة ، طب أنا أعمل إيه دلوقتى ؟!!

- تعمل إيه إزاى ؟!

- يعنى أنا خايف أفرح إنها عايشة .. ترجع تموت تانى ، و دا وارد جدا مع الغيبوبة ، و أخاف أفضل زعلان ، يعيبوا عليا إن أنا زعلان بالرغم من إنها لسه عايشة !

- لأ إفرح يا جو ، خلى أملك فى ربنا كبير ، و خليك متفائل كدا ، إن شاء الله هتبقى زى الفل .

- طب و إيه اللى هيحصل دلوقتى ؟!

- أنا هروحلها المستشفى بكره فى التجمع الخامس ، و أشوف ايه الوضع بقى .

- ماشى ، على ألو بقى إن شاء الله ، باى باى .

و انتهت المكالمة ، وسط اندهاش شديد من يوسف ، فكيف له ان يقنع عقله بأن من ماتت هى الآن حية ! ، و هل لمن مات ان يحيا مرة أخرى ! ، و كيف هو شعوره الآن وسط هذه الأحداث العجيبة ، هل يعود من قمة الحزن الى قمة الفرح خلال مكالمة لا تتعدى بضعة دقائق هكذا !! ، و هل الغيبوبة شئ يفرحه أم يحزنه أكثر ! ، فالغيبوبة بها احتمالين ، فإما ان تخرج منها حية او تخرج منها ميتة ، فهل سيتحمل موتها مرة أخرى !!

أمسك يوسف بهاتفه و اتصل بـ سيف ..

- إزيك يا سيف ؟

- الحمد لله ، إنتا عامـــ ...

- قطع يوسف كلامه : بتول لسه عايشه يا سيف .

- يا نهار إسود ! ، يا صاحبى إحنا لازم نروح لدكتور مخ و أعصاب بكره ، أنا مش هسيبك كدا ، إنتا كدا بدأت تدخل مرحلة الخطر ، يابنى لـ ...

- قطعه يوسف : يا عم أنا مش مجنون ، بتول عايشة بجد ...

و سرد له التفاصيل العجيبة ...

رد سيف : ايه الكلام ده !! ، انتا متأكد ؟

- اه طبعاً متأكد ، هوا الكلام ده فيه هزار !

- أحا بقى ، ايه شغل الأفلام ده !! ، طب انا طلعت على روحها جنيه و نص .. ثوابهم هيروح لـ مين دلوقتى !!!

الفصل الرابع

ذهب يوسف للكلية ، و ترك عقله بالبيت ، مُعلقا بكل ذكرياته مع بتول ، و أمانيه فى أن تعود للحياة مره أخرى ، و أحلامه فى سماع صوتها مره ثانية ، و خوفه من فقدانها .

وسط شروده و تخبط أفكاره ، رأى سارة من مسافة بعيدة داخلة من البوابة الرئيسية للكلية و لا تحمل أى شئ ، و رأى محمد الشامى بعدها بلحظات ، قادم من جهة أخرى و يحمل حقيبته السوداء ، ولا يبدو أنهم تقابلوا ، أو عقلُه خيّل إليه أنه لا يبدو ، فهو فى صراع ما بين :

تصديقه الشديد لـ سارة و كل كلامها بسبب .. راحته النفسية بعدما انهى معها المكالمة ، و أن مبرر البنات فى كلامهم عنها أنهم من الحاقدين عليها لأنها محترمة ولا تعترف بالاختلاط بين البنات و

الأولاد ، فلا يوجد لديهم وسيلة إلا تشويه صورتها ، غير أنه رآها تدخل صباحا من البوابة لا تحمل أى حقائب سوداء بالرغم من أن نهلة أخبرته قبلها ليلا أن سارة كانت تحمل الحقيبة و خرجت بها و ركبت المواصلات ، فمعنى ذلك أنها يجب أن تأتى بها للكلية فى الصباح لتعطيها للشامى لكى يراها معه ، و لكنها دخلت بدونها ، و هو شاهد الشامى يحملها ، معنى ذلك أن نهلة و يسرا تكذبان .

و بين كل ما سمعه من نهلة الملعونة و يسرا ، و ما شاهده من (الشامى) مصادفة من اهتمام شديد بالحقيبة لدرجة لفتت نظر يوسف و جعلته يعيد تفكير فى الموضوع ، و عدم منطقية انتشار كل هذا الكم من الكلام بدون سبب ! ، فـ الشك قد تسرب إلى قلبه .

****

انهى يوسف محاضرات اليوم ، و انطلق إلى البيت ، و بعد أن تناول غذاءه ، أخضر كوباً كبيراً من الشاى و

دخل الى غرفته و أغلق الباب بإحكام ثم أمسك بسجائره و أشعل واحدة ثم أغلق كل الأنوار و جلس على كرسيه الهزّاز و شرع يفكر فيما يحدث ! ، و لكنه لم ينفث دخان سجائره بطريقته الدرامية المعتادة .

استقبل مكالمة من يسرا ، أخبرته فيها انها فى طريقها للمستشفى ، و ان الطبيب يقول ان بتول تتفوه بـ اسم (يوسف) كثيرا خلال الغيبوبة ، و عليه ان يتحدث معها ...

- أكلمها إزاى يعنى ؟! ، أجيلها ؟ (قالها يوسف)

- لا مش هينفع تجيلها دلوقتى ، بص أنا هدخُلها الأوضة لوحدى ، عشان كدا كدا مينفعش أكتر من اتنين فى الأوضة ، و هحطلها السماعات فى ودانها و هسيبك تكلمها .

- هيا بتتكلم أصلا ؟

- لأ

- (يوسف مندهشاً) : أمال أكلمها إزاى يعنى ؟!!

- قول أى حاجة ، الدكتور قال إنك ممكن تعرف تفوّقها ، عشان عمالة تنطق اسمك إنتا بس .

- بس انا مش فاهم ، ازاى اكلم حد فى غيبوبة ! ، و هيا أساساً مش حاسة بحاجة ، هتفرق معاها ايه ؟ ، ولا هتعرف ان انا منين أصلاً !

- لا ، الدكتور قال انها حاسة بكل حاجة حواليها ، و بتعرف تفرق الأصوات ، بس مش بتستجيب .

- طب ماهى مش بتستجيب اهو !

- ايوه بس ممكن تستجيب ليك انتا .

- ممم .. ماشى ، مع انى مش مقتنع بالكلام ده ... إنتى قدامك قد إيه ؟

- ساعة إن شاء الله

و انتهت المكالمة وسط مشاعر متضاربة ، ما بين شعور الفرحة لأنها مازالت على قيد الحياة ويستطيع سماع صوتها ، و شعور الرهبة و الخوف من الموقف ككل ، فـ المطلوب منه الآن هو التحدث مع شخص فى غيبوبة ، و هو لا يملك عن حالة الغيبوبة نفسها أى معلومات ، فكيف سيتكلم ، هل الأفضل أن يتكلم بلهجة قوية شديدة أم ضعيفة مكسورة حزينة على مرضها ؟ ، و ما الذى سيقوله و هو فاقد الأمل فى

أن ترد عليه ! ، غير انه لا يصدق انها من الممكن ان ترد عليه هو بالعين و هى لم ترد على والديها !!

اتجه يوسف لتصفح الإنترنت ، و البحث عن أى معلومة تخُص الغيبوبة ، ففتح الحاسب المحمول و بدأ يبحث فى المواقع الطبية ، لكن ما وجده لم ينفعه بشئ ، بل أصابه بتشاؤم شديد لأن كل المعلومات تقول إن الشخص إذا استمر فى حالة الغيبوبة مغمض العينين لمدة تفوق 24 ساعة فإن احتمال بقاءُه على قيد الحياة مرة اخرى بشكل طبيعى ضئيل جدا ، و الشخص بداخل الغيبوبة يستطيع سماع و تمييز كل الأصوات من حوله ، و لكنه لا يحرك ساكنا !

فكر يوسف فى أن يسأل والده و لكنه عدل عن الفكره لكى لا يبوح بالأسباب التى دفعته أن يسأل ، فقام بالاتصال بصديق فى كلية الطب لعله يعطيه معلومة و لو بسيطة عن الأمر المُبهم الذى سيواجهُه بعد قليل ، و فعلاً خرج بمعلومة وحيدة ضعيفة كانت تأكيدا لـكلام الطبيب المعالج لـ بتول و هى أن الغيبوبة الناتجة عن الصدمة العصبية يمكن أن يتحدث خلالها المريض مع شخص واحد على الأكثر ، و غالبا ما يكون الشخص الأقرب إليه ، و لكن هذا فى حالة الصدمات النفسية و العصبية فقط ، أما

الناتجة عن الإصابات العضوية .. فى الدماغ مثلا ، فلا ينطبق عليها هذا الأمر .

فقام على الفور بالاتصال بـ يسرا ليسألها ، فأجابته بأنها سليمة بدنياً تماما ، و أن أمامها عشرة دقائق حتى تصل للمستشفى .

اهتز قلبه و رجف بشدة لما اقترب الموعد ، فهو الآن لا يعرف ما الذى يواجهُه بعد العشر دقائق ، تمنى لو أن الزمن توقف لكى لا تنتهى العشر دقائق اللعينة ، حينها شعر بصداع شديد يضرب انحاء دماغه ، فقام ليبحث عن أى مسكن ، و صنع كوبا كبيرا من القهوة و احضر علبة السجائر ، و وقف يشفط نيكوتينه فى صدره و ينفث قطرانه فى هواء الشرفه الطلق ، و قبل انتهاء العشر دقائق اهتز هاتفه و ارتفع صوت جرسه عاليا ، بأغنية صابر و صوت محمد فؤاد (بحلم يعدّى عليا الليل من غير عذاب ولا ويل و تحسّى مره بـ نارى ....)

إنها يسرا ، وصلت الى المستشفى و هى الآن مع بتول داخل الغرفه ذات الحوائط البيضاء ، المحتوية على سرير بجانبه بعض الأجهزة الطبية التى تصدر أصواتاً لها الصدارة فى شدّ الأعصاب ، و بها طاولة

صغيرة تحمل بعض الأدوية و المستحضرات ، و كرسى واحد صغير .

شرعت يسرا فى البكاء بصوت مكتوم منذ دخلت ، و جلست على كرسى بجانب سرير يحمل ملاءات بيضاء ، و تنام بتول فوقه على ظهرها مسترخية فى لباسها الأخضر ، وبجانبها شعرها الأصفر الطويل الناعم ، و يظهر من فتحات ملابسها أجزاء من ساقيها و ذراعيها شديدى البياض ، و جزء من صدريها الصغيرين المشدودين بعناية ، المنحوتين بحرفية شديدة ، و تلمع المنطقة الفارقة بينهما حال سقوط الضوء عليها ، و عيناها مغمضتان فى منتهى الراحة ، و ملامحها منسقة بشدة ، لا يظهر عليها أى تعبيرات كأنها لوحة رسمها أبرع فنان فى الكون ، و لكنه لا يملك الإحساس ، فلوحته ليست بها حياة ، كانت بتول فى الغيبوبة أجمل من الحقيقة نظرياً ، بالمعنى التجريدى للجمال ، أو المقاييس التقليدية مثل لون الشعر و تضاريس الجسم ، و لكن كان جمالها بلا روح ، فهى غائبة حاضرة ، نصف حية نصف ميتة ، لا تنطق بكلمة ، و لا يُسمع لها صوت أنفاس .

قالت يسرا لـ يوسف : إنها جالسة مع جثة بتول ، لأنها فاقدة لكل ما يتعلق بالحياة ، باستثناء أصوات

الأجهزة المستفزة ، ثم قامت بعدها بتوصيل السماعات فى اذنها و بدأت المحادثة بين يوسف و جُثة بتول ...

- بتول ، أنا يوسف ، أنا جوو حبيبك ، قلقتينى عليكى أوى يا توته ، أنا كنت بموت و انتى بعيدة عنى ، مش قادر اتخيل ازاى ده كله حصل ، و ازاى كان ممكن تروحى منى فـ ثانية كدا ، توتة انتى لازم تردى عليا عشان اطمن عليكى ، انا خلاص تعبت و مش قادر يا توتة ، ولا بقيت قادر ارجع زى زمان و أدارى دمعتى جوايا و اسكُت ، ولا بقيت قادر أعيش شخص جديد و احكى لحد اللى أنا فيه ، أصل هاحكى أقول إيه ؟ ، أنا لو حتى فكرت أحكى الموضوع دا لحد يا إما مش هيصدقنى يا إما هيتريّق عليا يا إما هيطلع منه رد فعل يزود اللى جوايا أكتر ، ماهو مستحيل حد يصدق اللى أنا فيه ده ، حتى لو صدق يا توته مش هيحس ، أنا حاسس إن أنا عايش فى كابوس و مش راضى يخلص ، هيكمل معايا طول حياتى ، يا توتة إنتى لازم تردى و تفوقى و تقومى ، ردى يا بتول ، أو إفتحى عينك أو حركى إيدك ، إعملى أى حاجة عشان تخرجى من المستشفى دى .. ردى بقى (صرخ يوسف و أغلق الخط) ..

كمن يخاطب ميّت كان يوسف .

ثوانى قليلة و رن الهاتف مره أخرى ..

- ايوة يا يسرا

- يابنى قفلت ليه ؟

- يا ستى مفيش استجابة خالص ! ، تخيّلى إنك بتكلمى حد لمدة عشرين دقيقة و مبيردش بـ أى حاجة خالص ، أنا تعبت و زهقت ، انتى مش متخيلة أعصابى تعبانة ازاى ! ، أنا بكلم حد كان امبارح فى تعداد الأموات !

- طب حاول تانى بس معلش ، على فكرة هيا فتحت عينيها و انتا بتكلمها .

و كأن الله جمع الأمل الذى انزله على بنى البشر كله و بعثُه فيه بعدما سمع هذه الجمله ..

- فقال : طب حُطيلها السماعات بسرعة .

- بتول .. أنا جو حبيبك ، ردى عليا عشان خاطرى بقى ...

و أعاد عليها نفس الكلام عدة مرات ، فيما استغرق حوالى اربعين دقيقة و أوشك على الانهيار ، إلى أن بدأ يسمع أصوات أنفاسها يرتفع تدريجياً ، ثم آهات متتالية ترتفع تدريجياً أيضاً ، فبدأ بتكرار الكلام العديد

من المرات ، و حاول أن يذكر اسمه لعدة مرات ، لأنه هو الاسم الوحيد الذى كانت تنطق به فى بداية الغيبوبة ، حتى فعلتها بتول و نطقت بصوت ضعيف تقطعه الآهات : بحبك ...

رفع يوسف الهاتف من على اذنه و بكى على إثر كلمتها ، بكى بحرارة كما لم يبكى من قبل ، لقد سمع صوت بتول مرة أخرى ، لقد تحقق حلم كان ليلة امس مستحيل ! ، كيف ان ذلك يحدث الآن فهل يكون محظوظاً لما حدث ام يكون هذا عقاباً له على ما فعل بالماضى ، هل لـ أحد ان يتخيل ان يسمع صوت شخص قد مات !!

ثم صحى من غفوة البكاء هذه حينما تذكر بتول و الصعوبة التى سيواجهها حتى يجعلها تنطق مرة اخرى ، فأكمل كلامه معها ....

- و أنا كمان بحبك يا توته ، بهدلتينى معاكى يا حبيبتى و تعبتينى .

- ....

- توته ، ردى عليا يا حبيبتى عشان خاطرى .

- إنتا واحشنى أوى يا يوسف .

- و انتى أكتر يا روح قلبى ، بقولك ايه ، حركى ايدك كدا يا توته .

- ....

- حركى إيدك .

- لأ

- ليه بس يا توته ؟

- كدا أنا عايزه أموت .

- اعوذ بالله ! ، ليه كدا ؟ ، تموتى و تسيبينى يا توته ؟

- لأ ماهو إنتا هتيجى معايا ، ربنا عايزنى أروح له ، هوا قالى تعالى أنا مستنيكى .

- لأ انتى مش هتموتى و انا مش هسيبك ، و بعدين حركى ايدك بقى عشان اجيلك بكره .

- لا انا هموت بكره

- يعنى مش عايزة تشوفينى ؟

- لا ، هموت بعد ما تمشى .

- خلاص هقعد معاكى طول اليوم .

- يبقى هموت بعد بكره .

- بعد الشر عنك يا روحى

- هوا أحمد فين ؟

- ....

- أحمد فين يا يوسف ؟

- أحمد فى البيت

- أومال أنا فين ؟

- فى المستشفى ، عشان تعبانه شوية ، المهم حركى إيدك بقى .

- ....

- يلا يا توته .

- إيه دا ، أنا حلمت حلم وحش أوى .

- حلمتى بـ ايه ؟

- حلمت إن أنا كنت راكبة مع أحمد و علاء العربية ، و علاء رجع قعد جنبى ورا و حاول يبوسنى و يحط إيده عليا ، فـ أحمد شافه و قعد يضربه و هوا ماشى بسرعة ، فـ العربية إتقلبت بينا كلنا و موتنا !

أدرك يوسف حينها سبب الحادث ، و ادرك ان الحادث يأتيها على هيئة أحلام ، فـ هذا الـ (علاء) اللعين فقدَ حياته و تسبب فى كل هذه المصائب بسبب جينات ذكورية قذرة ، هذا إن كان يملكها من الأساس !!

كانت حالة بتول فى الغيبوبة غريبة من نوعها جدا ، فهى بعض الأحيان تملك كل الوعى و كل القدرات العقلية ، التى أهلتها فى بعض الأوقات للتذكر و إجراء عمليات حسابية مثل مجموع مشترياتها مع يسرا فى أخر عملية تسوق قاموا بها معا .

و حيناً اخر تتخيل أماكن و أشخاص و أحداث وتجرى أمامها ، و تتخيل أنها تتحرك و تذاكر و تأكل و تشرب و أن يوسف يجلس معها فى غرفتها بالبيت ، و أحيانا يتبادلون القُبلات و على حافة ممارسة الجنس .

أما عملية النطق فكانت تمر بعدة مراحل ، ففى البداية يرتفع صوت النفس بشكل ملحوظ و بعد ذلك تبدأ فى إطلاق الآهات ثم تنطق بكلمات غير مفهومة بصوت منخفض يتدرج فى ارتفاعه ، حتى تنطق الكلمات المفهومة .

استمرت المكالمة على هذه الوتيرة لمدة تقارب الأربع ساعات ، مابين وعى و لا وعى ، و إدراك و

عدم إدراك ، هدوء و رومانسية حيناً و عصبية شديدة و صراخ - لأسباب و بدون أسباب - حينا أخر ، حتى خر صريعا ، فنام أثناء الحديث قُرب الساعة الرابعة فجرا ، من شدة التعب و الإرهاق البدنى و الذهنى جالسا على السرير ، حتى جاءت أمه و فردت جسده على السرير و وضعت فوقه الغطاء .

لم يدرِ بنفسه إلا فى تمام الثانية ظهرا ، أفاق من نومه العميق ، و جلس برهة على السرير ليتذكر ما حدث بالأمس ، فلم يستطع أن يتذكر سوى أنه سمع صوت بتول و تحدث معها ، فـ كذب نفسه للحظات ، فهو لا يتخيل ان ما يحدث يمكن أن يحدث فى الواقع !! ، فلو رأى يوماً هذه الأحداث فى فيلماً أجنبياً لما صدقه و لصنفه فيلماً للخيال العلمى ، فبحث عن الهاتف ، وجده عبارة عن قطع مشتته بعيده عن بعضها ، فاستنتج أنه وقع من يده عندما غلبه النوم .

بعدما ترنح إلى الحمام و نقع جسده فى (البانيو) لمدة ساعة و تناول وجبة خفيفة ، و أشعل سيجارة ، جاءته مكالمة طارق ...

- ألو

- إزيك يا طارق ، إنتا مختفى فين كدا ؟

- ملكش دعوة ، لسه جاى تفتكر إن أنا مختفى دلوقتى ! ، ولا صحيح هتفتكرنى ليه ، مانتا عندك اللى بتنطق إسمك و هيا بتموت ، و حتى يسرا خدتها هيا كمان ، و كل دا مش هاممنى ، إنما إنى أعمل حادثة و إنتا متعبرنيش .. دى وحشة فى حقى أوى ، مات الكلام بينا كدا ياللى كنت صاحبى ، و مش عايز أعرفك تانى .

- طب اسمعنى بس ..

- مش هسمع حاجة ، و عموماً هردهالك قريب أوى يا نجم ، سلام (و أغلق الخط فى وجه يوسف) .

أصابت يوسف حالة من الجنون فبأى عقل يفكر هذا الأحمق ، ألا يعرف ما هو فيه ؟! ، فمن يفكر فى فتاة فى مثل هذه الظروف ، و أى يسرا يتحدث عنها ! ، فيوسف لديه مصيبة كفيلة بأن تجعله يكره جنس النساء حتى يتوفاه الله ، و من ناحية أخرى ، كيف ليوسف ان يعلم بأمر ذلك الحادث و طارق لا يتصل به ، بل و من عليه ان يتصل بالآخر فى مثل هذه الظروف ؟!

فهل ينقص يوسف مصيبة جديدة حتى يُضاف طارق أيضاً !!

****

انطلقت يسرا فى طريقها للمستشفى ، و عندما وصلت ، اتجهت لمكتب الطبيب المسئول عن حالة بتول مباشرة و اتصلت بـ يوسف و أعطت الهاتف للطبيب كما أمرها يوسف بالضبط ، فهو يحتاج لبعض المعلومات عن تلك الحالة المجهولة التى يتعامل معها ...

- ألو ، صامو عليكو يا استاذ يوسف

- و عليكو السلام ، إزيك يا دكتور؟

- تمام الحمد لله.

- نخش فى الموضوع ، دلوقتى حضرتك أنا مش عارف أتعامل معاها كويس و ناقصنى شوية معلومات ، يعنى مثلا لما تقولى أنا فين ، أقولها ايه ، و لما تصرخ كدا اعمل ايه ، و هل ممكن أجيلها ولا لأ .. لو كان دا ممكن يساعدها يعنى .

- بص حضرتك ، بالنسبة لموضوع أنا فين دا قولها انتى فى المستشفى و لو سألت ليه قولها انتى

تعبانة شوية ، و لما تصرخ كدا هما بينادولى اديها حقنة مهدئة ، إن شاء الله هخليك تجيلها بس لما حالتها تستقر شوية .

- طب هيا مكالماتى معاها دى هتفرق حاجة ؟

- أه طبعاً ، طبياً هتفرق فى تحسن الحالة و احتمالية خروجها من الغيبوبة .

- ماشى ، و أنا هتابع مع حضرتك بردو يا دكتور عصام ، ألف شكر ، سلامو عليكو .

- تحت أمرك ، و عليكو الزلام .

و انتقل الهاتف إلى أذن يسرا ..

- ايه يا بنتى الدكتور ده ! ، ده شاكله سباك ، شوفى بينطق السلام إزاى ؟!

- و الله ما اعرف يابنى ، مفروض ان دى مستشفى خاصة ، دول بيدفعوا ألفين جنيه فى الليله الواحدة .

- يا نهار اسود ! ، دا كتير جداً !!

- أه و الله .

- طب المهم ، ايه اللى هيحصل دلوقتى ؟

- هدخُلها بعد ما ريهام صاحبتها تطلع ، كمان نص ساعة كدا .

- أوكى ، طارق كلمنى امبارح على فكرة (وسرد لها موضوع طارق كاملا) .

- يا عم سيبك منه ، طارق غيّران و خلاص ، دا عمال يقولى كلام غريب .

- بيقول إيه ؟

- بيقولى إنتى مفكرة إن يوسف زعلان عليها بجد ، يوسف دا بيمثل ، يوسف عمره ما حبها ، هيزعل عليها ليه ؟!

- طب و هوا ماله أصلا ، دا يشغِله فـ إيه ؟!

- ياريته سكت على كدا ، دا بيقولى أنا زعلان عليها أكتر منكوا !! ، عمرك شوفت كدا ! ، هوا ولا عمره شافها ولا كلمها و لا يعرفها ولا من قريب ولا من بعيد و بيقول إنه زعلان أكتر مننا.

- !!!!!!!!!! .. دا إسمه إيه دا ؟

- بص من الأخر .. هوا غيران منك من زمان ، و كان نفسه يبقى مكانك .

- مكانى أنا ! ، هوا مفكر إن أنا مبسوط ؟! ، هوا الواد دا إتهبل خلاص ! ، أنا بعيش أسواء فترات حياتى و هوا عايز يبقى مكانى ؟! ، عايز يشيل مسؤلية حياة إنسان ممكن يموت فى ثانية ! ، عايز يبقى عايش تحت ضغط كل لحظة ، يعيش خايف بس موبايله يفصل شحن ، فـ تموت البت و هيا بتصرخ و عايزه يوسف ، و يشيل ذنبها طول عمره ، عايز يحس كل لحظة إنه إنسان قذر ، ولا قدر يبقى مخلص لحبيبته اللى بس بعدت عنه شوية - و ليها أسبابها - ولا قدر يبطل وساخة و ضحك على بنات الناس ، تحت مسمى أصل أنا إنسان هيجان ؟! (و بكى يوسف) .

- إهدى يا يوسف ، متتعصبش ، سيبك منه دا مريض ، أنا عارفاه من زمان .

- بصى يا يسرا ، أنا همّ الدنيا كله فوق دماغى ، ولا انا قادر أشيله لوحدى ، ولا حد قادر يشيله معايا ، و خلاص هيا إختارتنى أنا عشان أشيل الليلة كلها لوحدى ، أنا اللى بفوّقها و أنا اللى بضحّكها و أنا اللى بحرّكها و أنا اللى بخليها تعمل كل حاجة ، و أنا أقسم بالله خلاص مبقتش نافع نفسى تانى ، أنا مبقاش فيا حاجة سليمة ، أعصابى باظت و دماغى هربانه منى و ضغطى عِلِى ، شوية و هحتاج

مستشفى أنا كمان . (تكلم و هو مستمر فى بكائه)

- طب روّق بس روّق عشان مينفعش تكلمها و انتا مُنهار كدا ، و امسك نفسك عشان أنا هعيّط أنا كمان و مش هينفع أعيّط قدامهم .

- هوا مين اللى عندك ؟

- باباها و مامتها و سها و ريهام .

- ماشى .

- يلا ريهام خرجت أهو ، أنا هدخُلها و أحط السماعات و انتا كلمها ...

و وضعت السماعات و بدأ يوسف المعاناة مرة أخرى بنفس التفاصيل ، استغرق يومها ما يقرب من الثلاثين دقيقة ليوقظها من نومها العميق ، و مرت بنفس المراحل المعتادة ، و لكنها عندما تكلمت هذه المرة كانت تملك كل القوة العقلية و كل الإدراك ، فكانت تتحدث مع يوسف بطريقة طبيعية جدا جعلته يشك فى الموضوع كـ كُل ...

- يوسف أنا عاوزه قهوة

- حاضر يا بتول

- بتول ! ، يبقى زعلان منى أدام مش بتقولى توته .

- لا والله أبداً .

- يوسف ، إنتا لسه بتحب اللى قَبلى ؟

- ايه لازمة الموضوع دا يا بتول ؟

- أنا هموت دلوقتى لو لسه بتحبها ..

كانت طريقة كلام بتول طبيعية بشكل مبالغ فيه ، لدرجة جعلت يوسف يثور و هو على يقين تام أن الذى يجرى الآن هو مؤامرة للإيقاع به ، فـ بتول سليمة تماما و لم تستطع أن تمثل الدور بشكل صحيح ، و يسرا و سها كل منهما ساعد بتول فى خطتها اللعينة ، و بذلك اكتملت خيوط المؤامرة ، و على الفور أغلق يوسف الخط .

لم تمضى عدة ثوانى حتى اتصلت يسرا بـ يوسف مرة أخرى ..

- قفلت ليه يا يوسف ؟

- إنتوا بتشتغلونى يا يسرا ! ، أحا ، ده أنا صايع !!

- يا عم صايع إيه و زفت إيه دلوقتى ! ، البت كانت فايقة أوى و قربت تقوم خلاص من الغيبوبة ، كمل بقى عشان خاطرى ..

- رد يوسف و البكاء يقطع تسلسل كلماته : أبوس إيدك لو بتشتغلونى قوليلى ، تعبت و مبقتش قادر ، إنتوا بتهزروا معايا .. صح ؟

- لأ طبعا ، هيا الحاجات دى فيها هزار !

- يعنى انتوا مش بتعملوا فيا كدا عشان اتربّى و احترم نفسى ؟ ، انا عارف ان انا زودتها زمان أوى مع بتول و غيرها ، بس اقسم بالله ما هعمل الحاجات دى تانى خلاص ، أنا تقريباً بقيت بعيّط 24 ساعة ، ارحمونى الله يرضى علكيوا ، أنا خلاااااص ، بس قوليلى الحقيقة ، بتشتغلونى ؟

- اقسم بالله لأ ، بتول راقدة قدامى و فى غيبوبة فعلاً .. صدقنى .

- رد يوسف فى منتهى العصبية المخلوطة بالضعف و البكاء : ماهو أنا عمرى ما سمعت عن حاجة اسمها كدا ! ، إيه معناه ان واحدة فى غيبوبة ، مبتردش غير على واحد بس ، هوا اللى قادر يكلمها و يحركها و يفوقها و يعمل كل حاجة ، لأ و كمان كل ده عن

طريق الموبايل ، أبوس إيدك كفايه و قوليلى الحقيقة بقى .

- لم تستطع يسرا السيطرة على دموعها و قالت : والله العظيم اللى بيحصل دا حقيقة ، أنا مش مصدقة أنا كمان ، بس كل حاجة بتحصل قدام عينى أهوه ، خد كلمها و كمل عشان خاطرى .

لم يكن يوسف يملك أى خيارات ، فهو مُجبر على أن يُكمل ، ليس مُجبرا بأمر الحب ، بل هوا مجبر بأمر الإنسانية ، فـ يوسف لم يشعر يوما بحب بتول ، و لم يتأثر لغيابها عندما سافرت عدة أيام مع والدها و انقطع الاتصال بينهما ، حتى عندما كُسرت ساقها ، كان حزنه عليها كحزنه على حادث طارق ، فى النهاية مشاعره لا تتعدى الصداقة ، الصداقة و ما تحمله فى طياتها من إنسانية ، فـ يوسف كان يملك خيار الانسحاب منذ بداية الأمر و يرفض أن يكلمها ، و لكنه لم يفعل بدافع الانسانية أيضا ، و لكنه أوشك أن يفقد عقله ، يصدِق من و يكذِب من الآن ؟! ، يصَدِق يسرا و نهلة و ما قالوه عن سارة ، أم يصدق سارة نفسها ! ، و لو صدّق سارة فعلاً .. فكيف يصدق يسرا فيما تقوله فى موضوع بتول ؟ ، ولو صدق يسرا .. أيكون بهذا قد سلم بأن سارة كاذبة ؟ ، كلا الأمرين لا يدخل عقله ، يشعر يوسف بأن كل

من حوله يتآمرون عليه ، اصدقاءه و اقاربه و حتى أهله أحياناً ، كان يعلم دائماً بأن ما فعله سيرد اليه لا محالة ، لكنه لم يتوقع ان يكون بهذه الطريقة البشعة !

أثناء غفوة أفكاره ، كان يتحدث مع بتول دون ان يعيرها اى وعى أو إدراك ، و بدون أى مقدمات صرخت بشدة ....

- مين اللى إنتا واقف معاها هناك دى ؟

- اهدِى بس ، أنا مش عندك أصلا يا توته .

- لاااا لاااا ، مين اللى إنتا واقف معاها على الباب دى ؟ ، إنتا بتخونّى ، أنا عايزة أموت (كانت تقولها و تصرخ باكية) .

- يا بنتى اهدِى بس ، والله أنا فى البيت ، اسكتى عشان اجيلك بكره .

- هدأت بتول و ردت : هتجيلى بجد ؟!

- أه و الله .

- و هنعمل حاجات ؟!

- حاجات إيه بس دلوقتى يا توته ؟! ، بس عشان يسرا جنبك .

- يا عم أنا مفيش حد جنبى ، بص أنا هقلع خالص ، و هنام على السرير و أحط إيدى علـ ...

- بتووول ، إهدى يا حبيبتى مينفعش ، عشان يسرا جنبك و الله .

- يابنى مفيش حد جنبى ، بص أنا عاوزه أقعد زى القطة كدا و إنتا تيجى من ورايا و ...

ثم إنقطع كلامها فجأة ، و تبدل بصوت يدل على أن أحدا وضع يده على فمها ، ثم صرخت بتول ..

- يوسف ، لما تيجى تبوسنى متكتمش نفَسى أوى كدا !

- أبوسك !! ، يا بنتى أنا مش عندك و الله ، أنا فى البيت ، أقولك ، عشان تصدقينى ، افتحى عينك و بصى حواليكى .

- لا ، أنا عايزة أموت .

- هوا انا كل ما اقولك اتحركى او بصى حواليكى تقوليلى عايزه اموت !

- اه هموت .

- طب إفتحى عينك و بعدين نشوف الموضوع ده .

و بعد معاناه شديدة فتحتها ، و بدأت ترى أجسام الأشخاص و تتخيل أشخاص آخرين بدلا منهم ، فـ كانت ترى الدكتور على انه يوسف .

- هوا أنا فين ؟ (قالت بتول)

- رد يوسف حسب تعليمات الطبيب : إنتى فى المستشفى يا حبيبتى .

- مستشفى ؟! ، لأ أنا فى البيت ، أنا عايزه أحمد يا يوسف .

- أحمد فى البيت ، و انتى فى المستشفى عشان تعبانة يا توته .

- بكت بتول و قالت بصوت متهدج : إنتا كداب ، أنا مش بصدقك عشان إنتا مش بتحبنى أصلا ، يلا إمشى . (قالتها فى رقة و ضعف و الدموع تنزف من عينيها)

- طب ليه بس ، بقى بعد دا كلو تقولى عليا كدا !

- امشى ، أنا هموت ، أنا مش عايزاك .. امشى .. امشى .

كانت فكرة الموت تسيطر عليها كلياً ، فالموت هو الهدف الأول و الأخير لها ، تتمناه فى أى وقت و كل وقت ، فمجرد تذكرها لأى شئ يزعجها كان دافع لها لطلب الموت فوراً .

نفذ لها يوسف رغبتها و أغلق الخط و الهاتف و خلد للنوم .

****

فى اليوم التالى ، ذهب الى الكلية ، و عندما دخل الى المدرج ، جاءت المصادفة انه جلس و بجواره محمد الشامى ، و بعد ان سلم عليه و تحدثوا فى بعض الأمور التى لا تخص موضوع المحاضرة تماما ،

رأى يوسف هاتف الشامى ملقى على بعض الكتب أمامه فأمسك به و ظل يقلب فى محتوياته بشكل عشوائى حتى خطرت فى باله فكرة الاتصال بـ سارة من رقم الشامى لكى يختبر ما اذا كانت سترد على رقم غريب أم لا ، فأدخل الرقم عنده فوجده مسجل باسم (حبيبى) ، فرمى الهاتف على المنضدة من اثر الصدمة ، و أصابته رعشة شلت حركته طوال مدة المحاضرة ، فتصلب جسده و انعزل عما حوله تماما لدرجة انه لم يرد على نداءات اصدقائه ، و عندما انتهت المحاضرة و خرج استأذن (الشامى) أنه سوف يستخدم هاتفه ، فأخذه و وقف بجوار باب المدرج ، و كانت سارة على مرمى بصره فى نهاية الطرقة المؤدى للمدرج ، ثم اتصل بها من هاتف الشامى ...

- إيه يا حبيبى (قالت سارة)

- إزيك ؟ ، طبعا عرفتى صوتى .

- ....

- أنا كان ممكن أقعد أستنى و أصبر فعلا لحد ما نتخرج و أخطبك ، بس دا فى حالة إنك تستاهلى ، بس إنتى ولا تستاهلى إنى أستناكى ولا تستاهلى إنى أخطبك أصلا !

- ....

- إنتى مفكره عشان أنا كنت بعاملك حلو ، و كنت بحبك فعلا إن أنا هبقى (خَول) ، ولا هقبل إنى ارتبط بواحدة مدوّراها و ماشية على حل شعرها ! ، بس بجد برافو عليكى ، انتى مش اشتغلتى يوسف سمير ، انتى اشتغلتى الكلية كلها و فهمتيها انك محترمة ، و انتى أصلاً زبالة !

- لا أنا محترمة و مش زى مانتا فاكر كدا على فكره .

- انتى ولا حاجة اصلاً ، أنا اللى عملت جوايا أسطورة سارة ، اللى مفيش زيّها فى احترامها و ادبها و كسوفها ، و علّقت نفسى بيكى زيادة عن اللزوم ، مش عارف ازاى كنت غبى كدا و صدقتك فعلا و كدّبت كل الناس !!

- يا يوسف دا زميلى بس و مفيش حاجة ما بينا .

- زميلك بتقوليله يا حبيبى !! ، يا ستى اقسم بالله انا معنديش مشكلة دى حياتك و انتى حرة فيها ، بس انتى ليه علقتينى كدا ؟! ، ليه كدبتى عليا و قولتيلى إنك ملكيش علاقة بيه لما سألتك فى حوار الشنطة ؟! ، بتردى عليا ليه أصلا لما بكلمك أدام انتى مرتبطة بيه !!

- ....

- أنا مين بالنسبالك ؟

- انتا حبيبى الوحيد ، أنا بحبك ... (و كانت أول مرة تنطقها سارة منذ عرفها يوسف) .

ظل طوال المكالمة يركل الحائط المجاور لباب المدرج أمامه بقدمه اليمنى لكى لا يظهر عليه أثر الغضب ، حتى أغلق الخط فى وجهها ، و خبط رأسه بالحائط عدة مرات ، لا يستطيع ان يصدق ما حدث ، لا يستطيع استيعاب كل الحقائق التى تظهر أمامه واحدة تلو الأخرى ، فكيف حدث كل هذا فى عدة أيام فقط ، كيف لمدة زمنية صغيرة أن تقلب حياة الانسان بهذه الطريقة ، فمن ظنها شريكة الحياة اكتشف انها خائنة و ظالمة له و لنفسها ، و من كان على يقين انها عاهرة و يستحيل ان تحبه بصدق كما تدعى .. اكتشف انها أصدق أهل الأرض !!

حتى جاءه الشامى ، لا يفهم ماذا يجرى ، يحاول ان يتحدث معه ، لكن يوسف ترك له الهاتف و مضى فى طريقه دون كلام .. فقط الدموع تتحدث عن حالته !

أثناء رجوعه فى طريقه للبيت ، كان يفكر فى نفسه ليس فى سارة ، كيف استطاعت أن تكسِر قلبه ! ،

فهى الوحيدة التى اعترف لها بكل شئ ، اعترف لها بنزواته و صولاته و جولاته فى عالم النساء ، اعترف لها بأخطائه و ذنوبه قبل حسناته ، كانت بالنسبة له كل شئ فى الدنيا ، لا حياة فى بُعده عنها ، و لا فرحة إلا فى قربه منها .

عندما وصل للمنزل ، دخل لغرفته هائما على وجهه ، غير واعى بما حوله ، يحاول أن يستجمع كل ما حدث داخل إطار واحد ، يجتهد فى البحث عن إجابات لأسئلته و لكنة دائما ما كان يفشل ، فلماذا تخونه من أحبها و لم يقصّر معها فى شئ قط ؟ ، و لماذا تكسره من خاف أن ينظر إليها فيلاحظه الناس فيظنوا بها الظنون ؟

كلما حاول أن يشغل نفسه بالكتابة ، لم يستطع ، يراها فى كل صفحة ، فى كل كلمة و كل حرف ، و كلما شاهد التليفزيون تذكرها ، تذكر مشهد من المسلسل المفضل لهما ، تذكر تقليدها للفنانين ، و تهكمها على زملائها فى الكلية ، و كلما أمسك بهاتفه ، صورتها لم تفارقه لحظة ، ليس حباً فيها ، و لا جرحا من خيانتها ، ولكن حزنا على جرح كرامته ، و أين هى كرامته من الأساس ، لقد نزلت عليها صواعق الخيانة فهشمتها .

تقطعت به السبل حتى نام فاردا جسده على السرير ، أصابه حينها صداعا كاد يشق رأسه و يخرج منها ، شعر بأن قنبلتى هيروشيما و ناجازاكى سقطتا معاً فوق رأسه و لم تدمراها ، بل تحول الدمار إلى صداع فتاك ، و ليتهما دمرتاها و مات ، فالموت عنده أفضل من أن يعيش لحظة واحدة مثل هذِه ، لحظة هتكت عرض كرامته ، و سلبته رجولته ، و مزقت كبريائه و احترامه لنفسه .

يشعر الآن بأنه كومبارس يمثل دور رئيس الجمهورية ! ، فهو داخل أحداث الفيلم أكبر و أهم شخصية لأنه الرئيس ، أما خلف الكاميرات فهو كومبارس مُهمل لا قيمة له ، فمن كانت تعطيه و قلبه قيمة .. عرف مؤخراً انها خائنة .

بما تُفيد الآن كل الشخصيات السينمائية التى تمنّاها و عاش فيها ! ، فدور الحبيب الظالم الذى عاشهُ كثيراَ ، ينقلب عليه الآن ، فالممثل يأتى عليه يوم و يُغير من ادوارُه لينوعها ، و الآن وقت التغيير الاجبارى لأدوار يوسف ، فاليوم يجب ان يلعب دور الحبيب المضحوك عليه .

هو بطل و ضحية و خائن فى نفس الوقت ، فهو بطل قصة بتول ، التى لا تنطق بكلمة واحدة إلا بسماع

صوته ، و ضحية قصة سارة ، فهو الحبيب المضحى الناكر لذاته ، الذى خانته حبيبته بعد كل ما قدمه لها ، و هو الخائن لصديقه (طارق) ، لا يعرف ما ارتكبه من إثم فى حقه ؟ ، و لكن طارق لا يفرق كثيراً عن بتول فكلاهما حمّله ذنب كل شئ و هرب .

امسك يوسف بهاتفه و اغلقه ، و بعدها انفرط عقد دموعه ، ولكن فيما تفيد الدموع ، فهو البطل المزيف لأفلام لم تكن له يوما من الأيام ، فقد كان دائماً ما يصرع البطل الحقيقى لهذه الافلام ، و يستولى على البطلة ، و بنهاية الفيلم يكون قد اتم ذبح البطله هى الاخرى ، ليكون البطل الأسطورى ، الأول و الأخير ، لكى يتحدث عنه الناس و يتناقلون أخباره ، حتى يفوز بلحظة سعادة فانية عندما تتناقل إليه كلمات الفتيات التى يقولونها فى حقه .

و فى المرة الوحيدة التى حاول أن يأخذ مكانه الطبيعى كبطل لفيلم ليس بخيال أو زيف ، صرعته البطلة فى النهاية .

كيف له ان يستمر الآن فى تمثيل أدواره المبتذلة ! ، كيف لـ أسطورة يوسف سمير الذى لا يُخطئ فى نظر الفتيات فى اى شئ ولا يحزن للفراق ولا يفرح لأى كلمة مدح فى حقه ان تسقط ! ، كيف لرجل

عاش واضعاً قدمه فوق رؤوس الفتيات و كرامتهم ان يهبط بمستواه ليعيش بجانبهم ! ، كيف ليوسف ان يُوضَع فى مكانة الحبيب المظلوم !!

نعم إنها عدالة السماء ، يجب أن يأتى يوم و يتجرع من الكأس التى اذاق منها الكثيرين من ضحاياه ، فهو الآن يأخذها كلها جملة واحدة ، يتجرع مجموعة الكؤوس من أنواع الكذب و الغدر و الخيانة و الغش و كلها بتركيز عالى .

يشعر الآن بقلبه يهوى إلى قدميه ، بل تحت قدميه ، بل تحت قدمى سارة ، لتدوس عليه بحذاء الخيانة ، و هى عصرت قلبه تحت ذلك الحذاء ، لتُجرده من أى مشاعر و أى احاسيس ، بل و أى إنسانية .

و لكنه قرر ألا يفقد كل شئ خاصةً إنسانيته ، فلو فقدها فقد بتول على اثرها ، و هو لن يفقد بتول ، لن يخرج من حياته خاسرا لكل شئ ، لن يعيش قصة الملك الذى اصبح بنهاية القصة شحاذاً ، فإن خسر و لم يستطع أن يكون الملك فى دولته مع سارة ، فسوف يجاهد ليكون وزيرا فى دولة بتول ، فالسقوط من مرتبة الملك لمرتبة الوزير أهون بكثير .

فتح يوسف هاتفه ، و اتصل بـ يسرا ...

- إنتا فين يابنى ، قافل موبايلك ليه ؟

- معلش عندى ظروف ، بتول عاملة إيه ؟

- قعدت تصرخ ساعة كاملة و تنادى عليك و جالها تشنُجات ، كل دا وهيا فى الغيبوبة ، فـ الدكتور إداها حقنه هتنيمها لحد بكرة و بعدينــ ...

- قطع يوسف كلامها : خلاص خلاص ، لما تروحيلها بكره كلمينى ، أنا تعبان جدا و عندى ظروف صعبة شوية و مش هقدر اكلم حد دلوقتى .

- طب اسمع بس ، الدكتور قالــ ...

- قطعها يوسف مره أخرى : يا يسرا أنا تعبان ، مش وقته دلوقتى ، يلا سلام .

الفصل الخامس

مرت ليلة الخيانة على يوسف أو هكذا ظن ، لم يستطع النوم فيها ولو لحظة واحدة ، استطاع أن يقنع نفسه أن خروجه من موضوع سارة مظلوما أفضل بكثير من خروجه ظالما ، فهو يستطيع أن يجرحها بسهولة ، فبضع كلمات جارحة تكفى أن تقلب حياتها جحيماً مستمرا ، ولكنه فضّل الصمت ، لكى لا يندم فيما بعد أنه قد أذى أكثر من أحببها فى حياته ، فقد أخذ على نفسه عهدا أن يتغير و يغيّر كل أسلوب حياته ، و أن ينتهى من كل علاقاته الجنسية و غير الجنسية بعد إفاقة بتول من غيبوبتها .

بحلول الثامنة مساءً ، اتصلت به يسرا و اسرعت بوضع السماعات فى اذن بتول كالمعتاد ، و بدأت المحادثة الروتينية ، عشرون دقيقة يعيد و يزيد فى

نفس الكلام ، منه ما هو رومانسى و منه ما يشبه البكاء و منه ما هو غير معروف النوع ، فمخه شبه توقف عن العمل ، فهو لا يستطيع أن يأخذ قرار أو يحدد مصير أو يُسيّر اتفه الأمور فى حياته اليومية بسبب تلك الأحداث المتوالية .

ظل يتحدث دون رد منها ، حتى حلول الدقيقة العشرين ، و بدأت بتول تتأوه بشكل واضح ، و يرتفع صوت أنفاسها ، كالتى تتحول من مرحلة الموت لمرحلة الحياة ، حتى نطقت ، و يا ليتها ما نطقت ....

- توته يا حبيبتى ، ردى عليا عشان خاطرى .

- (ردت بصوت ضعيف تقطعه الاهات) : اااااه ، إنتا ... ااااه ، إنتا مين ؟

- !!!!!!! .... أنا يوسف حبيبك !

- يوسف مين ؟! ، أنا معرفش .. اااه .. معرفش حد إسمه يوسف أصلا .

- نعم !! ، إزاى يعنى ؟! ، أنا يوسف حبيبك يا بنتى .

- أنا حبيبى إسمه أحمد .

- أحمد !!! ، يابنتى أنا يوسف حبيبك اللى معاكى فى الكلية .

- كلية ايه ! ، أنا أصلا لسه فى ثانوية عامة .

- ثانوية ؟!! ، طب افتحى عنيكى ؟

- لأ ، و انتا مالك أصلاً افتحها ولا لأ !

- معلش افتحيها بس .

- فتحتها .

- شايفة مين ؟

- شايفة ريهام صحبتى و واحدة كمان أنا معرفهاش .

- اه دى يسرا ، طب إديها الموبايل .

- يسرا مين ؟

- اديها بس الموبيل ، ولا أقولك ، قولى بصوت عالى يا يسرا يوسف عاوزك .

- يوسف مين ؟

- يالهوى !! ، قولى بس كدا .

- حاضر .. (ردت بتول ثم نفذت الأمر)

امسكت يسرا بالهاتف و بدأت تتحدث مع يوسف ...

- هوا إيه دا ، أنا مش فاهم حاجة ! ، دى مش عرفانى !

- اه مانا سمعتها .

- سمعتيها إيه ، روحى نادى دكتور ، دى دماغها فى الطراوة خالص .

- لا ماهو كان واقف دلوقتى .

- يعنى ايه كان واقف ! ، و قال ايه يعنى ؟! ، قوليلى بقى إن دا كمان طبيعى !!

- ماهو إنتا اللى مرضتش تسمعنى امبارح يا يوسف .

- يعنى ايه ؟

- انا كنت امبارح هقولك الكلام بتاع الدكتور .

- طب قولى دلوقتى .

- بص ، لما انتا موبايلك كان مقفول و هيا كانت بتصرخ و كدا ، الدكتور قال إنه هيديها حقنة تنيّمها ،

بس ممكن لما تصحى يحصلها فقد جزئي أو كلى فى الذاكرة و ممكن ميحصلهاش حاجة خالص !

- يا نهار اسود و مهبب !! ، يعنى هيا حصلها فقد جزئى كدا ! ، دى كانت بتقول أنا فى ثانوية .

- اه ، و الله انا كنت هقولك امبارح بس انتا مدتنيش فرصة .

بكى يوسف فى لحظتها ، ليس لأنها فقدت الذاكرة ، ولكن لأنه شعر أنه السبب فيما حدث ، فلو لم يغلق هاتفه ، لما حدث ما حدث !!

بتول كانت ثائرة بشكل كبير ، و طردت يسرا من الغرفة لأنها لا تعرفها ولا تريد أن تراها ، وبعدها أعطت يسرا الهاتف لـ ريهام لعدم امكانية تواجدها بالغرفة بسبب ثورة بتول عليها ..

- أيوه يا ريهام ، حطيلها السماعات أنا عايز أكلمها .

- أوكى ، هيا معاك (ناو) .

- بتول يا حبيبتى ، اهدى شوية ، اللى انتى بتطرديها دى صاحبتك بقالها سنة .

- انتا مين أصلا ، انتا تعرفنى ؟ ، تعرف عنى ايه ؟

- أيوة أعرفك ، احنا كنا مرتبطين قبل ما تتعبى .

- أنا مش تعبانة ، و معرفكش أصلا ، و فكك من حوار الكلية ده ، انتا هتستعبط !

- لأ انتى دخلتى نفس الكلية بتاعتى ، و أنا اسمى يوسف و اكبر منك ، و كنا مرتبطين ، و احمد دا كان حبيبك زمان و انفصلتى عنه .

- يعنى ايه بقى الكلام ده ؟! ، انا فقدت الذاكرة مثلا !

- لأ مش بالظبط كدا ، بس انتى تعبانة شوية فـ عشان كدا نسيتى اخر فترة فى حياتك ، و أنا إن شاء الله هفكرك بكل حاجة .

- تفكرنى بكل حاجة ليه ، أنا مش مصدقاك أصلا عشان معرفكش .

- ماشى تمام ، أنا هحكيلك شوية حاجات ، و هخلى ريهام تحكيهالك بردو عشان تصدقينى ، طالما دى الوحيدة اللى انتى فكراها .

- ماشى ...

و بدأ يوسف فى سرد بعض الوقائع و الأحداث عن علاقتهم ، و عن ما حدث بينها و بين أحمد ، و كانت

ريهام تصدّق على كلامه ، ثم طلب من ريهام أن تجلب لها كارنيه الكلية و الكشكول الذى كانت تدوّن فيه أحداث اليوم كلها و الذى لا يعرف مكانه سوى يسرا ، لكى تقرأ أجزاء منه لتساعدها على التذكر فى اليوم التالى .

لم يهدأ يوسف إلا عندما سمع من الطبيب ان بتول الآن خرجت من الغيبوبة كلياً ، و عادت لحالتها الطبيعية ، و سوف توضع تحت الملاحظة لفترة وجيزة و تخرج من المستشفى بعدها .

شعر بأن جبلاً من الخرسانة قد أُزيح من فوق صدره ، اللعنة على هذا الكابوس الذى افقده عقله و اعصابه ، لقد حان وقت الرجوع للحياة الطبيعية ، لا يهم إن كانت ستتذكره ام لا ، أو كونها ستظل تحبه أو لا تحبه أو لا تعرفه من الأساس ، المهم ان تعود للحياة مرة اخرى ، فحياتها أصبحت أغلى عنده من أى شئ ، لقد تعب معها أكثر ما تعبت أمها فى ولادتها و تربيتها ، لقد عرف معنى الحب حتى اخر نفس فى الحياة ، لقد تعلم منها الوفاء ، و تعلم منها الاخلاص و الصدق فى المشاعر ، فهى فى الغيبوبة كطفل ينطق فقط عند سماع صوت أمه ، لا يوجد كذب ولا خداع و لا تمثيل لا فى الكلام و لا فى المشاعر ، لقد عرف منها معنى النقاء و الطهارة فى

الإحساس ، فهل هناك أصدق من كلمة بحبك لحظة الموت ، فـ لا أحد يكذب وهو يموت !

****

انهى المكالمة دون جديد ، كانت كلها تذكير لما حدث من جانب يوسف ، و اندهاش و حيرة من جانب بتول ، و كان شعوره حينها أغرب مما حدث ، فهو سعيد فى وقت لا يصلح للسعادة ، فسوف ينسحب من بطولة الفيلم الذى لم يكن له من البداية ، سيفقد من أحبته و هى بتول ، و فقد قبلها من أحبها و هى سارة ، و لم يبقى له شئ .

كانت تعليمات الطبيب واضحة جدا فقد أمر بألا يكذب عليها أحد فى أى شئ ، فعندما فكر فى الأمر ملياً ، وجد أن ذلك شبه مستحيل ، فمجرد سؤالها عن أخيها أحمد يحتاج للكذب ، فـ يوسف يعرف مدى

ارتباطها به ، و يعرف انها لو سمعت بموته ، سوف تسقط فى لحظتها ، و تموت مرة أخرى .

كرر يوسف الجملة الأخيرة فى دماغه عدة مرات ... (تموت تانى ! ، هوا فيه حد أصلا بيموت مرتين !!) ، و ظل يضحك بهستيريا شديدة .

جلس يوسف على مكتبه ، و أمسك بورقُه و أقلامه حاملا فنجانا من القهوة و مشعلا سيجارته ، و كتب ..

((اليوم اتممت ما بدأه القدر ، اليوم كنت سببا فى إعادة بتول إلى الحياة ، شعورى غريب الان لا استطيع وصفه ، خليط ما بين الاحساس بالذنب لأننى لا أستحق كل ما فعلته لأجلى هذه الفتاة و كل التغيير الذى سببته لى ، و شعور بالفرحة الشديدة المخلوطة بدهشة لما جرى منذ بداية حلمها هى و يسرا و آية ، مرورا بحالة الغيبوبة العجيبة و وصولاً لفقدان جزء من الذاكرة ، حتى عودتها للحياة الطبيعية ، أشعر انى اعيش أحداث فيلم اجنبى لو شاهدته فى السينما لما صدقت احداثه ! ، لذلك اخاف ان احكى ما يحدث لى ، لأن أحدا لن يصدقنى ابدا ، ليس بسبب الحالة الطبية الغريبة فقط ، و لكن لعدم وجود إخلاص بهذا الشكل

فى هذا الزمان ، فـ أنا لم أتخيل يوما أن تمر بى لحظة تلعب فيها سارة دور الحبيبة الخائنة ، و تلعب بتول دور الحبيبة شديدة الإخلاص ، و ألعب أنا دور البطل المطحون بين إخلاص من احبتنى و خيانة من احببتها ! ، صحيح إنها الدنيا التى لا تعطيك كل ما تريد ، و لكنها كانت قاسية عليّ جدا هذه المرة ، و مع ذلك لن أدع هذه التجربة تمر دون إفادة ، فـ أنا بالفعل تعلمت ، و مازلت أتعلم ... فقط أرجو من الله أن يتم نعمته علي ولا يرزقنى المزيد من المفاجئات))

فور انتهاء يوسف من كتابته تذكر طارق و كلامه ، و تهديده الذى لم يشغل باله ولو لحظة واحدة من قبل ، فهو لا يقدر على فعل شئ ، بل ان يوسف حزين على تلك الصورة التى اتخذها طارق له فى ذهنه ، فهو ليس بخائن لأصدقائه ، و لم يأخذ منه يسرا و لم و لن يسعى لذلك أبداً ، بل الظروف هى التى حكمت بذلك ، فلا سبيل للوصول الى بتول و التحدث اليها إلا عن طريق يسرا ، أيرفض يوسف التحدث الى يسرا لكى يُرضى طارق و يترك بتول تموت !!

اتجه يوسف للنوم بعدما انهى قهوته و غيّر نغمة الهاتف ، حاملاً أمنية بداخلة بأن لا يصحو على مفاجئة جديدة مثل مفاجئات الليالى السابقة ، فمنذ

الموت الأول لـ بتول و يوسف لم يقضى يوما طبيعى أو شبه طبيعى فى حياته ، فكل يوم تأتيه مصيبة تتلف مخه و تنهش أعصابه .

****

استيقظ يوسف من نومه و تناول بعض الطعام ، و لم يقدر على الذهاب الى الكلية ، فقرر ان يقضى يومه فى رتابته المعتادة بالمنزل .

فى تمام الخامسة مساءً فى اليوم التالى ، رن جرس الهاتف فـ افزع يوسف و أيقظه من نومه ..... (لما تقوم الصبح و ذكرياتك ميح .. منتش عارف نايم جارح ولا جريح .. حب و ذكرى امبارح بكره كل دا صفر ...)

- الو ... ازيك يا يسرا ؟

- الحمد لله ، انتا تمام ؟

- اه الحمد لله .

- بص ، هوا فيه حاجة كدا حصلت ، أنا مش عارفه أقولهالك ولا إيه ؟

- على بتول ؟

- أه

- ماتت تانى ؟؟ (صرخ يوسف) .

- لأ يا عم بعد الشر ، حاجة تانية .

- ايه ؟ ... انجزى ؟

- بص ، أنا دخلت عليها النهاردة أول ما جينا أنا و ريهام مع بعض ، فسلمِت عليا و عرفِتنى ، و قالتلى ازيك يا يسرا ؟ مش دا الطقم اللى جبناه مع بعض ؟

- طب كويس ، ابتدت تفتكر أهو .

- لا ، استنى بس ، أصلها بصت لـ ريهام ، و قامت قيلالى مين دى ؟! ، طلعيها برا دلوقتى حالا ، أنا مش عايزه حد غريب فى الأوضة !

- ....

- إيه يابنى ساكت ليه ؟

- يعنى بتول مخها لسع ؟! ، هيا مش ريهام دى اللى كانت فكراها امبارح و بتقول دى صحبتى من خمس سنين !!

- أنا مش عارفه بقى ، بس الدكتور مرضيش يدينا تفسير و قال المهم انها فاقت من الغيبوبة .

- اه ، ألف حمد و شكر انها فاقت ، طظ فى أى حاجة تانية ، و هنتصرف فى حوار الذاكرة دا مش مشكلة .

(استطرد يوسف) : طب هيا فاكرانى ؟

- اه ، سألتنى عليك و قالت أنا عايزه أكلمه .

- حلو ، يعنى هيا دلوقتى فاكرة ايه و ناسيه ايه ؟! ، أنا مش فاهم حاجة .

- ولا أنا فاهمة ، كلمها و خلاص .

- ماشى .

و انتقل الهاتف من اذن يسرا الى السماعات فى اذن بتول ..

- يوسف ، انتا واحشنى اوى ، انتا مجتليش ليه ؟

- انا جايلك يا حبيبتى والله ، أول ما الدكتور يقول انه ينفع .. هجيلك على طول ، المهم انتى عاملة ايه دلوقتى ؟

- الحمد لله ، جسمى بيوجعنى شويه بس ، أنا عايزة اشرب قهوة يا يوسف .

- أنا مش عارف ايه حكاية القهوة معاكى ، بس حاضر يا حبيبى ، هخليهم يجيبولك قهوة ، و انا هجيبلك و أنا جاى ، عاوزانى اجيبلك ايه تانى ؟

- عايزاك انتا بس .

- مانا جاى ، تحبى أجيبلك ورد ؟

- أه أنا بحبه أوى .

- و أنا بحبك انتى أوى .

- لا يا يوسف ، انتا بتحب التانية ، أنا عارفه يا يوسف انك بتقول كدا بس عشان أنا تعبانه .

- يعنى انتى ناسيه كل حاجة فى الدنيا و فاكرة التانية !!! ، و الله العظيم ما بحبها ، انا خلاص مبقتش احس بحد غيرك ، انتى روحى و حياتى و قلبى و حلمى و كل حاجة .

- ....

- و عايز أقولك أنا أسف ، أنا اسف على كل لحظة ضايقتك فيها ، كل لحظة جرحت فيها قلبك أو مشاعرك أو جيت عليكى ، أنا خلاص مبقتش بتخيّل حياتى من غيرك ، رغم كل البهدلة اللى شوفتها منك دى ، بس أنا مبقتش باقى على حاجة غيرك ، أنا خسرت كل حاجة يا توته و مش باقيلى غيرك .

نامت بتول دون أن يدرى يوسف ، فأكمل كلامه و البكاء يقطع كلماته ...

- حتى ساره خسرتها ، بس أنا مش زعلان يا بتول ، أنا مش زعلان عليها عشان ربنا عوضنى بيكى إنتى ...

انهار يوسف تماما ، و اشتد بكاءه فى حين اكتشف انها نامت ، و حملت يسرا الهاتف و سمعت المكالمة فبكت هى الأخرى ، فشعر بالإحراج و أغلق الخط .

****

لم تمضى النصف ساعة ، و اتصلت يسرا مرة اخرى ، فسألها عن بتول ، فأخبرته انها نامت و انهم سيرجعون لبيوتهم و يعودوا مره أخرى غداً صباحاً .

بعدما أنهى يوسف المكالمة ، قام و تناول لقيمات صغيرة من طعام لم ينشغل بتحديد نوعه ، ثم استقبل مكالمة من سيف ، و دلف المقهى الصغير المجاور للمنزل ينتظره فيه .

حضر سيف بعد نصف ساعة ، و بعد أن ضم صديقة إلى صدره ، سأله عن حالته و حالة بتول الآن ، فبدأ يوسف حكايته بخيانة سارة ، ثم انتقل الى التدرج الغريب لحالة بتول وصولاً للهرتلة الدماغية و تضارب الأحداث و الأشخاص لديها .

فى موقف كهذا .. المشهد واحد له بطل واحد و ضحية واحدة و النتائج يتحملها واحد ، لا أحد يستطيع تقديم المساعدة بأكثر من دمعة ، حتى أهل بتول ، لم يراهم يوسف و لم يسمع منهم كلمة واحدة ، لم ينطقوا بكلمة شكر أو ذم ، كانوا يمارسون البكاء بكل صوره ، ليلا نهاراً يبكون ، فما الذى يستطيعون فعله ، فى النهاية موقفهم صعب و أليم ، فكلا منهما لم يتخيل يوما أن ابنته فى لحظة

وفاتها تنساه و تتذكر حبيبها ، تتذكر شخص لم تعرفه إلا منذ عدة اسابيع فقط .

كان كثيرا ما يفكر فى موقف أهلها منه ، و نظرتهم إليه ، فهل ينظر أبوها إليه على أنه من أنقذها من الموت ؟ ، أم من أحبته أكثر منه هو شخصيا ؟ ، هل سيشعر بتعاطف ام غيره ؟ ، هل هو يحبه ام يبغضه ؟ ، اسئلة لم يجد لها إجابة يوما ما ، و لم يتخيل أنه سيجد !

و لكنه علم من يسرا ان والدها لا يعلم أى شئ عما يجرى ، و كل ما وصل اليه انها فاقت وحدها ، و سها و والدتها هم من يعلمون بالقصة و تفاصيلها .

انهى يوسف جلسته مع سيف ، بعدما حصل على جرعة مناسبة من النصائح و إغراءات عديدة لشرب الحشيش و لكن يوسف أبى ان يشربه مرة أخرى تحت أى ظرف ، ثم انتقل الى المنزل ، و دخل غرفته و اغلق الباب دون ان ينطق بكلمة مع احد ، فجلس على كرسيه الهزّاز مشعلاً سيجارة ، يفكر فى طارق ، يريد ان يتحدث اليه ليوضح له الأمر و يصالحه ، فـ همّ بإمساك هاتفه و اخرج رقم طارق و ضغط على زر الاتصال الأخضر ثم ضغط على زر انهاء المكالمة الأحمر سريعاً و قرر ان يتحدث اليه بعد انتهاء موضوع

بتول كله لأنه فى ذلك الحين ستكون علاقته بـ يسرا قد قُطعت تماماً و يختفى سبب الخلاف بينهما ، و حينها يستطيع أن يشرح له فى هدوء سبب الاتصال بينهما .

هبط يوسف بعدها بجسده على السرير ، متمنياً ألا يصحو على مصيبة جديدة كالعادة .

****

بدأ يتحدث مع بتول و يعتذر لها عن كل ما بدر منه من إهمال و عدم إحساس ، و أوضح لها كم كان يعيش حياة الحيوانات ، مابين مضاجعة البنات و الدخان و أحيانا المخدرات و الخمور و ما يتبعها من ضحك هستيرى ، و أقسم لها أن كل ذلك قد انتهى و هو الآن يبدأ حياته من جديد ، بدون أخطاء الماضى ، لم تنطق بتول بكلمة ، بل اكتفت بنظرة تحمِل كل معانى الحب و التسامح ، و بدأت فى تحريك يدها

على وجهُه ، حتى وصلت لعينيه فمسحت ما دموعه ، ثم وجهتها الى شفتيه ، فاكتفت بلمسه أشعلت فتيل طاقته الجنسية ، فأمسك برأسها فى حركة عنيفة و بدأ يلتهم شفتيها السفلية أولاً ثم العُلوية ، ثم انتقل إلى باقى أجزاء جسدها بعد ان خلع ملابسها بسرعة ، يلتهم منها قدر ما يستطيع قبلات و لمسات ، ثم القى بها على السرير و جهّزها على وضع مناسب ، ثم مد يده الى ازرار البنطلون ففكها كلها و أخرج بضاعته ، و بدأ فى الممارسة ...

بعدما انتهى ، عدَلها على وجهها مرة اخرى لكى يستلقى بجانبها ، فإذا بها سارة ! ، فانتفض مذعوراً مبتعدا عنها ، و امعن النظر اليها ليتأكد ، فلم يحدث أى تغيّر ، ما زالت سارة .. فنظرت له باحتقار و قالت له : هتعيش طول عمرك لوحدك ، عشان إنتا مبتعرفش تحب حد أصلا !

ابتعد عنها جرياً ، حتى تعثر ووقع على وجهه ، و إذا به يصحو من النوم ليجد نفسه قد وقع من فوق السرير ، و أصيب وجهه بكدمة صغيرة فوق عينيه !!

كانت الساعة حينها الثانية صباحا ، وقد امضى ربع ساعة جالسا على الأرض ، يحاول ان يفيق من تأثير

صدمة الحلم ، ثم قام فأخذ علبة السجائر و هبط الى الشارع ، تاركاً هاتفه بالمنزل .

(الهاتف المحمول يمثل انتهاك صارخ للخصوصية و للحريات الشخصية ، فما معنى ان من يحتاجك يستطيع الوصول اليك فى أى وقت و أى مكان و تحت أى ظرف ! ، و ما معنى انك لا تستطيع الهروب من الدنيا كلها لتنفرد بنفسك لمدة ولو كانت صغيرة ! ، لذلك تركه يوسف)

سار يوسف فى الشارع لا يعرف إلى اين يذهب او من اين يرجع ، تشابهت كل الشوارع فى عينيه ، فاستمر فى سيره حتى شاهد شروق الشمس ، فجلس على الرصيف يتمعن فيه ، محاولا فهم الحكمة من وراء الشروق ، فالشمس تغرب كل يوم و يحل الظلام و يملأ المكان بكآبته و حزنه ، و لكن يأتى الوقت و تشرق من جديد و تملأ الدنيا بنورها ، أتكون رسالة من رب الكون بأن حياته ستنصلح من جديد و تشرق شمسه مره أخرى! ، اهى بسمة أمل تدفعه للصبر و للاستمرار فيما هو فيه ؟ ، فهل ستعيش بتول ام ستفعلها مرة اخرى و تموت و تترك الظلام يستشرى فى كامل ارجاء حياته !

رجع الى البيت بعدما زادت حدة الشمس فوق رأسه ، فأمعن النظر إلى سريره طويلاً ، يخاف ان يقدم على النوم فيرى ما رآه مرة اخرى ، فيوسف لم يعد فى حياته شئ لا يخيفه ! ، فهو يخاف من النور و الظلام ، يخاف من النوم و الاستيقاظ ، يخاف من كل الناس الذين يعرفهم و الذين لا يعرفهم ، لم يعد يشعر بالأمان فى أى مكان فى الأرض ، لقد ضاقت به الدنيا ، و أُرهِقت نفسه بحثا عن مكان يرمى به همومه و أحزانه لكن بلا فائدة ، فمن يستطيع حمل كل هذه الهموم وحدة ، و من يستطيع ان يحل مشكلة واحدة فقط من هذه المشكلات ، لأنها مشكلات حلها ليس بيد أحد ، إنها مشكلات أبدية و إن زالت .. يبقى أثرها طوال العمر ملازماً لصاحبها ، كنبضات ألم فى ذراع كُسرت فى شتاء منذ خمس سنوات ، تأتى كل سنة فى نفس الميعاد بألمها .

قديما ، كانت فلسفة النوم بالنسبة ليوسف أنه الحالة الوحيدة للهروب من الأحزان مع امكانية البقاء على قيد الحياة ، فأنت حى ولكنك لا تفكر ولا تشعر ولا تحزن ولا تفرح ، اما الآن بعد هذا الحلم ، فقد فسدت تلك الفلسفة .

فى النهاية ، وقف أما المرآة ، و تحسس الكدمة الكروية المؤلمة فوق عينيه و التى تغَيّر لونها من

الأحمر الى الأزرق ، و قرر ان يخلد للنوم ، ويحدث ما يحدث !

****

لم ينم يوسف إلا بضع ساعات قليلة ، ثم نهض و تناول افطاره و هبط الى الكلية ، و بمجرد ان دخل لمح سارة تقف عند مدخل المدرج ، فلم يعيرها اى اهتمام و اتجه الى زملائه ، و بعد ان تبادل السلامات و القبلات و قليل من المجاملات مع كثير من التمثيل ، دخل المدرج .

كان يوسف حاضرا غائبا ، حاضرا بجسده وفى سجلات الحاضرين ، و غائبا بعقله و تركيزه ، و تكرر نفس المشهد عدة مرات حتى انتهت المحاضرات كلها ، و عندما خرج من المدرج ، لمح سارة تقف بجوار الحائط على جانب من الطُرقة الواسعة ، و يغلب على عينيها اللون الأحمر من أثر البكاء ، لم

تمضِ الثانية كاملةً ، حتى سمع صوتها و هى تنادى عليه ، فكّر حينها ان يتجاهلها تماما دون ان ينظر خلفه ، و لكنه أخذ قراره ، بأن ينظر تجاهها لكى يُعلمها أنه سمعها و يعرف انها تنادى عليه ، ثم سار فى طريقه دون ان يعود اليها خطوة واحدة الى الوراء ليضعها فى موقف محرج أمام الجميع ، فسمع على الفور همهمات الزملاء عما حدث ، فكيف يجرؤ شخص ان يتجاهل نداء سارة مثال الأدب و الاحترام ، فـ ألف شخص يتمنى فقط ان تنظر الى الجانب الذى يقف فيه ، و لكن نفس الألف لو علموا بحقيقتها .. لأغرقوها بصقاً على وجهها .

و لكى يكمل ما بدأه بشكل صحيح ، سلّم على (محمد الشامى) و بادله القبلات المصطنعة عندما جاءه من الجهة المقابلة ، و قد تعمد ان يفعل ذلك أمام سارة .

و لم يلبث ان ترك سارة حتى انهمرت دموعه فيضاناُ عارماً ، فسبب دموعه أنه تذكر كرامته التى جُرحت ، فهو بما فعله رد جزءاً منها ، ولكن قلبه الذى كُسر لن يستطيع جمع اجزاءه مرة أخرى .

لا يعلم يوسف لماذا كانت تناديه بعدما حدث ما حدث ، ولا يريد أن يعرف ، فـ فى كل الأحوال هو قد انفصل

عنها و لا سبيل للرجوع مهما حدث ، فمهما قالت أو عادت أو زادت فلن يفيد بشئ ، فبما يفيد الكلام بعد الفراق ؟ ، بل على العكس، فإن الكلام سيفتح جرحاً لم يندمل بعد، فـ صحيح أنه لم يندمل و لكن الكلام سيزيد من عمقه !

فـ سارة الان بالنسبة ليوسف صفحة طُويت و لن يعود لفتحها من جديد ، و لن يحاول ان يكرر ما كتبه فيها فى أى صفحة اخرى قادمة ، فكيف لشخص مثل يوسف يعرف كل الألاعيب و يطّلع على كل أساليب الغش و الكذب و الخيانة ان يضع كل ما يملك من ثقة فى فتاة ! ، رغم انه كان من أشد المؤمنين بأن كل ما أقدم عليه فى حياته سوف يُرد إليه لا محالة ، فجرح القلوب غالى ، و الله لا يترك ظالما دون حساب ، كيف كان مُغيبا و معمياً عن الحقيقة ، كيف استسلم لشباكها بهذه السهوله ، لماذا لم يشك فيها و فى براءتها المصطنعة ؟ ، و كيف جاءت لها الشجاعة أن تذبحه بسكين الخيانة الثلم !

****

وصل يوسف الى المنزل و جلس الى المائدة مع أسرته ، و كان مجبراً ان يُمثل انه يأكل بنفس الشهية اليومية المعتادة ، لكى لا يلاحظ أهل البيت فيسألوه عن السبب ، فيضطر أن يحكى لهم ما حدث و ما يحدث ، فإن حكى عن سارة و خيانتها فهل سيحكى عن بتول و انها مازالت حية ! ، سيُتهم بالجنون ، سيشُكّون فى أمر دماغه و قواه العقلية على اعتبار انها تأثرت بالأفلام الأجنبية ! ، فمن سيصدق هذا الهراء ، و هو نفسه لا يصدقه ، فهل يصح ان يطلب من احد ان يصدق أمراً هو نفسه لا يصدقه !!

انهى طعامه سريعا و انتقل الى غرفته لتغيير ملابسه ، ثم دلف المقهى المعتاد ، و لكن هذه المرة وحيدا ، فهو يريد ان ينفرد بنفسه ليقيّم العلاقة معها ، فلا مانع من بعض المحاسبة و اتباع نظام جلد الذات .

رشف من قهوته السادة المناسبة دائماً لمثل هذه الأوقات ، و اشعل سيجارة و شفط منها النيكوتين ، ثم جاءته مكالمة من يسرا ، فـ رد عليها و تحدث الى

بتول لعدة دقائق ثم اختلق لها عذرا و سبباً ليُنهى المكالمة بحثا عن الهدوء و بُعداً عن التوتر ولو لساعة أو بعض ساعة .

لم تمضى اكثر من ربع ساعة حتى جاءته مكالمة اخرى من يسرا ، فلم يرد عليها ، فعاودت الاتصال عدة مرات حتى رد عليها ، و سمع صوت بكائها !

- ماتت ؟! (قال يوسف)

- لأ بعد الشر .

- أومال بتتهببى بتعيطى ليه ؟!

- أصلها صممت تفتح (الفيس بوك) ، قامت ريهام فتحاهولها ، فأول ما فتحته .. شافت النعى اللى كان نازل على صفحتها ، بتاعها هيا و أخوها و علاء .

- و بعدين يعنى ؟

- دخلت فى الغيبوبة تانى .

- ....

- يوسف ؟

- ....

- رد يابنى ، إنتا فين ؟

- (انهار يوسف و صرخ فيها) : أقسم بالله أنا تعبت ، خلاص مبقتش قادر و مبقتش مستحمل ، أنا ...

- (قطعته يسرا) : و الله ما كان حد عارف إن هيحصل كدا .

- يا شيخة الله يحرقك إنتى و ريهام فى ساعة واحدة ، أنا عملت إيه فى دُنيتى عشان يجرالى دا كله ؟ ، أنا خلاص مبقتش نافع نفسى تانى بقى ، بتدّوها الزفت و هوا عليه النعى ليه !! ، يلعن أبو اليوم اللى عرفتكوا كلكوا فيه ، انا هطلع من ميتين أم الحوار دا و غوروا فى داهية كلكوا .

- و الله أنا مليش ذنب ، دى ريهام .

- بلا ريهام بلا زفت ، كل يوم مصيبة أوسخ من اللى قبلها ، و يوم عن يوم الموضوع بيتعقد أكتر ، و يوم ما اتصلح شوية رجع بعدها اتهبب اكتر من الأول ، الله أعلم دى لما تفوق - دا لو فاقت أصلا - هتبقى عاملة ازاى ؟!

- طب اهدى بس يا ...

- (قاطعها يوسف) : اقفلى دلوقتى و هبقى أكلمك بعدين ، سلام .

و انهى المكالمة و اضطر الى دفع حساب القهوة و الخروج سريعاً لأن كل الجالسين سمعوه و ألقوا عليه ما لم يتمنى من النظرات .

شعر يوسف كأنما سار طريقا لا نهاية له ، و كلما سار فيه ظهر له مُفترق طرق ، و كلما دخل أحد الطريقين فى المفترق ظهر له غيرهما ، و هكذا يستمر التعقيد ، لقد كانت بتول على أعتاب الخروج من المستشفى ، و كان يوسف قد اقترب من الاستيقاظ من الكابوس المروّع ، أما الآن و بعد هذه الكارثة فقد عاد ليأخذ الكابوس من بدايته ، و لكن الأمر الآن أسواء بكثير ، فـ فى المرة الأولى لدخولها الغيبوبة كانت لديه كل الأعصاب و كل الطاقة و كل الأمل ، لم يُستهلك احداها فى أى شئ ، أما الآن فنفذ ما نفذ و تلف ما تلف ، و لم يعد يملك أى شئ ، فأعصابه تلفت و لم تعد تتحمل أى مصائب جديدة ، و طاقته نفذت و لن يستطيع الاستمرار ، أما الأمل فقد نالت منه كثرة المصائب المتتالية ، فهشمته و مزقته ، و أخذت كل مصيبة نصيبها منه و رحلت ، و لم يتبقى إلا التشاؤم .

واصل يوسف السير حتى وصل لمكان مهجور من المدينة ، عند آخر محطة القطار ، تمنى لو جاءت كل عصابات العالم لتسرقه و تمزق جثته و تُمثل بها ، فالموت أهون مما يحدث الان ، فبتول تخرج من غيبوبة و تدخل فى الأخرى و لا تشعر بما تُخلفه ورائها مش شقاء لكل من حولها ، و هو لا يتمنى لها الموت و لكن يتمنى لنفسه الراحة .

جلس أمام رصيف المحطة الخرسانى ، و اسند ظهره إليه ، فارداً قدميه على شريط السكة الحديد ، و اخرج هاتفه و اتصل بـ يسرا ليفهم ماذا سيحدث الآن .

بعدما تحدث إلى يسرا ، علم منها ان بتول عادت لنقطة الصفر من جديد ، و سوف يعود الشريط ليعمل مرة أخرى من نفس نقطة البداية ، بنفس التفاصيل إلا تفصيلة واحدة مزقت قلبه ، و هى أن الأطباء شرطوا أن تنطق بتول بكلمة واحدة على الأقل خلال يوم واحد لكى يستمر وجودها على الأجهزة ، ومعنى ذلك أن شرط بقاء بتول على قيد الحياة مرهون بنطقها بكلمة على أقل تقدير .

رجع يوسف إلى البيت ، و دخل الغرفة بعدما أخبر أمه بأنه لن يأكل شيئا ، ثم اتصل بـ يسرا و أمرها

بوضع السماعات فى اذن بتول ، ليعيد شريط أحداث الماضى من جديد ، و بدأ المعاناة القديمة التى أحيتها الظروف من جديد ، أعاد عليها كل الكلمات التى قالها أثناء الغيبوبة و حتى بعدها ، قال كل ما جاء على لسانه و ما لم يجئ ، استمر فى الكلام لمدة تصل إلى التسعين دقيقة ، ولكن دون جدوى ، لم يرتفع صوت نفسّها و لم تتأوه كعادتها عند الإفاقة و لم يحدث أى رد فعل ، فـ شك يوسف فى كونها حية من الأساس ، فأغلق الخط لتطلبه يسرا و يأمرها بأن تجلب الطبيب على وجه السرعة ، و عندما فحصها الطبيب قال انها حية ، ولكنها مازالت فى الغيبوبة فـ طلب يوسف ان يتحدث إليه ، و قد كان ...

- إزيك يا دكتور؟

- الحمد لله ، تمام .

- هيا فعلا هتتشال من على الأجهزة لو متكلمتش انهاردة او بكرة ؟

- اه ، لإنها كدا عدت المدة المسموحة و ساعتها مش هيبقى فيه أمل .

- بس حضرتك دى بتدفع ألفين جنيه فى الليلة !

- مش موضوع فلوس خالص ، دى حاجة غصب عننا كلنا ، و الموضوع دا مُنتَهى .

- أوكى ماشى ، أنا بحاول معاها دلوقتى بقالى أكتر من ساعة و نص ، و مفيش فايدة !

- والله حاول تانى و قدامك لحد بعد بكره .

- طب أنا عندى طريقة ... بس ...

- أى طريقة أياً كانت ، المهم إنها تنطق بأى كلمة .

- هو حضرتك فاهم أنا بتكلم عن إيه ؟

- أه ، حاول معاها فى دى و أنا هخليهم يسيبوا الأوضة فاضية ، ماهو بتهيألى لو عملت الطريقة دى أحسن ما تموت !

- خلاص ماشى ، بس بلاش انهاردة بقى ، أحاول معاها بكرة.

- تمام ، و هيا لو استجابت معاك و اتكلمت ، أو حسيت انها عاوزة تتكلم بس مش عارفه ، اقفل الخط و اتصل على موبايل ريهام و قولها خلى الدكتور يديها المسكن .

- حاضر ، شكرا يا دكتور ، سلامو عليكو .

- و عليكو الزلام .

****

قدّر يوسف الموقف على اعتبار ان الموت الثانى قد حان موعده ، فحانت الان بداية النهاية ، سينتهى الان كل شئ أليم ، و ليت كل شئ ينتهى فعلا دون أن يترك خلفه أثارا جانبية تستمر لسنوات ، فحقيقة الأمر أنها لن تنتهى فعلا ، بل إن تحوُلاً سيصيب كل شئ ليغيّره من أشياء مادية إلى أحزان متضخمة فى ذاكرته تظل مُحصنة لسنوات دون أن يطالها تعفن النسيان ، بل ستظل محتفظة برونقها و قابليتها للزيادة لفترات بعيدة ، ليته أصابه ما أصاب بتول ، لما صار يتذكر أى شئ ، و لا يدرك أى شئ ، لمارس حينها دور الشرير ، الذى يعذب كل من حوله دون أن يشعر بآلامهم ! ، فسيكون ذلك أكثر راحة .

بكى يوسف لما حلّ به و بها ، فكل منهما اقتربت نهايته ، فظل يبكى و يبكى ، ليخرج ما فى جوفه من طاقة سلبية ، لا بكاءه انتهى ولا سلبيته نضبت ، ولا

المفقود عاد ولا الموجود سيظل موجود ، فكل شئ إلى الزوال ، حتى دموعه لها يوم و تجف ، و لن يجد طريقه ليُعِبر بها عن أحزانه ، فيموت صريعا لها !

تغلب عليه النوم ، ليس لأنه يريد أن ينام ، و لكن لأنه لا يملك القدرة لأن يقاوم أى شئ ، فهو الآن فريسة سهلة لأى شئ آتٍ ، فهو إنسان بلا قدرات ، يخاف من المستقبل أكثر من خوفه من أى شئ ، يعلم أن مجرد استيقاظه من النوم يحمل له من المصائب ما يكفيه عدة سنوات ليعيش أسيراً للأحزان ، يكاد يتيقن أنها ميتة لا محالة ، و فى نفس الوقت يعتبر ان ذلك اليقين خيانة لها ، فاليأس فى مثل هذه الظروف خيانة ، وهو قرر ان يقطع صلته بالخيانة من بعد أن ذاقها ، فيوسف لم يترك مؤنثا فى حياته إلا و خانُه ، حتى الخيانة نفسها .. خانها عندما تخلى عنها و أحب سارة بإخلاص ، لذلك أجزم أن يكمل الطريق الى نهايته ، سواء كانت نهايتُه مظلمة أو مضيئة ، المهم أن تأتى نهاية ، لأن نهاية التعذيب سريعا أفضل بكثير من الاستمرار فيه أياً كانت نوع الخاتمة .

استمرت الكوابيس تتوالى عليه واحداً تلو الأخر ، و قد اخذ قدراً من المناعة لتحمل عددا ليس بقليل منها ، و لكنها زادت اليوم عن حدها المعتاد ، فقد

رأى سارة تذبحه بسكين ، و محمد الشامى يقوم باغتصاب بتول ، و عندما حاول أن يجرى إلى بتول لينقذها ، غرست سارة سكين أخر داخل قلبه ، فانفجر منه فيضان الدماء ، ثم رمقته بعدها بنظرة تحمل كل معانى الشر ، و قالت له : (عشان تبطل تلعب بـ بنات الناس) .

- (رد عليها يوسف مقاوماً تدفق الدم المتدفق من قلبه) : طب .. طب بتول ذنبها إيه ؟

- (ردت عليه فى حدة تحمل بعض الغيرة) : رَبك بيرتب الأسباب بقى ، الله أعلم هيا عملت ايه عشان يحصلها كدا !

و انتهى الكابوس على هذه الجملة بعدما أطلق يوسف صرخة جاءت على إثرها امه تجرى من غرفتها ، فوضعت يدها على صدره و تحسست دماغه ، ثم قرأت له عدة آيات من القران ، و احضرت له كوباً من الماء ، فتناوله و قام ليأخذ حمام ساخن ليفيق من كوابيسه ، و صمم ان يهبط الى الكلية برغم اعتراض أمه التى لا تعلم شيئاً مما يجرى .

بمجرد ان دخلها ، شاهد يسرا ، فوقف و سلم عليها و تبادلوا الحديث عن بتول ، ثم أغلقوا الحوار عندما اقتربت سارة ، فسلمت على يسرا ، و نظرت بعمق

إلى يوسف ، و لكنه أظهر لها التجاهل ، فسلم على يسرا و طلب منها ان تحدثه على الهاتف بعد المحاضرات ، بعدما علم منها أن نتيجة الترم الأول ستظهر فى غضون عدة أيام ، و انطلق فى طريقه الى زملائه ، ثم سمع همهمات بين يسرا و سارة ، فلم يعطيهما اى اهتمام ، و اكمل طريقة دون تردد ، و كانت تلك أول مرة يقف مع سارة وجهاً لوجه فى حياته ، فهى لم تكن تسمح بمثل هذه المواقف .

انهى المحاضرات المملة ، و حضر بعض المعامل و جلس الى بعض الزملاء يمثل تناول الافطار امامهم لكى يظهر طبيعياً ، مع اشعال بعض السجائر التى فقدت أخيرا قدرتها على عدل المزاج كما كان يظن سابقا ، فـ الآن لا سجائر ولا حشيش ولا حتى هيروين يستطيع ان يعدل مزاجه ! ، فبماذا يفيد دخان السجائر الدرامى ! ، فـ الدراما عندما نعيشها ... لا تحتاج لسجائر .

ثم صعد الى الاتوبيس الذى ترنح به الى المنزل ، و بمجرد دخوله الى البيت ، ذهب الى امه ، و ارتمى فى احضانها و بكى ، فانتفضت و سألته عن سبب البكاء ، فأبى ان يخبرها ، فبدأت رحلة تخميناتها المملة .

سألَته عن سارة ، و إن كان لها يد في بكاءه ، فـ نفى لها أى شئ يتعلق بـ سارة ، فسألته إن كان قد تذكر حادث موت بتول ، فـ نفى لها أيضا ، فـ المجال لا يتسع أمامه لكى يخبرها بما حدث الآن ، سيخبرها فيما بعد ، بعد ان تهدأ بعض الأمور و تنصلح أخرى .. إن إنصلحت !

انتقل يوسف إلى سريره ، و بدأ يرجع بذكرياته للوراء ، لعدة شهور مضت ، فترة ما قبل بتول و سارة ، إنها افضل فترات حياته ، كان يوسف لايزال إنسان مُهمِل ، عشوائى ، يتعايش فقط على البنات و المخدرات مثل سيف ، و لكنه كان مرتاحاً ، على أى حال ، فإن أى فترة من حياته مهما كانت سيئة ، فهى أفضل مما هو فيه الآن .

غرق يوسف فى نومه ، لمده غير معلومة حتى أيقظته أمه بنبرة تهكُم عندما قالت له : قوم رد على الموبايل ، و احترم سارة شوية عن كدا مش كل شوية أرُد على واحدة شكل ! ، اكتفى يوسف بنظرة تحمل معانى الحسرة لـ أمه ، و لم يرد عليها ، و أمسك الهاتف ، و بدأ المحادثة ..

- ألو ..

- أيوة يا يوسف ، أنا لسه داخلة المستشفى أهو .

- طب و بعدين ؟

- ولا قبلين ، مفروض إنك هتكلمها انهاردة ، عشان بكرة اخر يوم ، يعنى يا تخليها تنطق انهاردة يا بكرة يا إما هتموت !

- بعد الشر ، كلامك زى السم الله يحرقك ، إديهالى و إطلعى بره الأوضة و سيبيها لوحدها ، و أنا لو عوزت حاجة هرن على ريهام .

- أطلع ليه يعنى ؟!

- اسمعى الكلام بس .

- أوك ، هيا معاك ...

- بتول ، وحشتينى أوى ، أنا اكتشفت انى بحبك أوى ، مع ان عمرى ما كنت اتخيل انى ممكن احبك بجد فى يوم ، انا اكتشفت انى كنت حمار و مضحوك عليا ، و مش كل اللى بنفكره خير لينا بيبقى فعلا خير ، و مش كل اللى بنفكره شر بيبقى فعلا شر ، المفروض انى اخليكى تتكلمى النهاردة بأى طريقة ، و أنا مقداميش غير حاجتين ، هعمل واحدة منهم و لو منفعتش هعمل التانية و تبقى أخر حل ، الحل الأول و - دا طبعا بعد ما سألت الدكتور - إنى هقولك كل الحقيقة ، و يحصل اللى يحصل ، يا إما

تستحملى الصدمة و تعدّيها ، يا إما هتموتى يا بتول ، هيا دى أهم حقيقة فى الموضوع ، إنك هتموتى يا توته لو ماتكلمتيش النهاردة بأى حاجة ، هيشيلوكى من على الأجهزة ، و حياتك هتنتهى عند كدا ، و ساعتها أنا كمان هموت معاكى ، إنطقى يا بتول أبوس إيدك ، حرام اللى بيحصل فيا ده ، إنتى فـ الغيبوبة مش حاسة بحاجة ، بس كل الناس حواليكى اتبهدلت و تعبت ...

و شرع يوسف فى البكاء ، ليس لتأثره بما قال بمقدار تأثره بفشل الطريقة الأولى ، فهو الآن مجبر على الاختيار الثانى ، هو الآن مجبر على المفاضلة ما بين الموت و الاختيار الثانى القابل للفشل بنسبة ليست صغيرة و فشله يمكن أن يؤدى للموت أيضاً ، فأى موقف أصعب مما هو فيه الآن ، قد يكون ما وضعة الله على عاتق يوسف عقاباً و قد يكون اختباراً ، و فى الحالتين هو أصعب ما يكون ، فكل الطرق تؤدى الى الموت ، يرى الموت يملأ أركان حياته ، و فى أحلامه ،و فى طُرُقُه التى يسلكها ، و حتى فى كلام الناس فى المواصلات ، انتشرت فكرة الموت كوباء سرطانى ليملأ كل ثغرات حياته حتى الدقيقة منها .

و تنفيذاً لكلام الطبيب ، فقد انتقل يوسف الى الاختيار الثانى ، و هو الإثارة الجنسية ، فلفظة (اه) تكفى أن تبقيها على قيد الحياة ، و فعلا شرع فى التنفيذ عن طريق مجموعة من أفعال المضارعة الساخنة ، و أسماء الأعضاء المجردة من أى ملابس داخلية أو خارجية بلغة عامية شديدة الحرارة ، مع ذكر بعض الأوضاع الجنسية المحتوية على شئ من العنف الفاتن لأى انثى ، فـ استمر فى عمليته الحساسة لمدة تصل الى الساعة و النصف ، فلم يحصل منها إلا على أصوات تنهيد تعلو و تنخفض حسب مرتبة الوضع فى عملية الإثارة ، و لفظة (أه) بصوت شديد الانخفاض ، فتذكر على الفور كلام الطبيب ، فأغلق المكالمة و اتصل بـ ريهام و أمرها أن تستدعى الطبيب ، و بالفعل جاء الطبيب و أعطاها إبرة مسكنة و أمر أن يحدّثها يوسف بعد ربع ساعة حتى يترك فرصة للإبرة لكى تعمل .

اغلق يوسف المكالمة و بدأت مدة الانتظار المملة ، فلم تتوقف دماغه عن التفكير فى تلك الأحداث و تتابعها الغريب ، فما الحال إذا ماتت بعد كل ما حدث ! ، و ما الحال أيضا إن عاشت ! ، هل سيكمل معها حياته حقا أم سيتركها ، هل سيحبها فعلا أم سيتسلى بها ، و إن أحبها ، فيكون بسبب خيانة

سارة له أم لأنه لم يحب سارة ، أم لأنه أحب بتول فعلا ؟ ، لقد اختلطت كل الأوراق و توقفت كل الساعات و تداخلت كل الأزمنة ، فما بعد الموت من مصيبة ، بل إن انتظار الموت مصيبة لها وقع أكبر من الموت نفسه .

فُزِعَ يوسف عندما رن جرس هاتفه .. إنها يسرا ..

- أيوة

- إيه يا يوسف ، الحقنة (ناو) إشتغلت و مفروض إنها لو كلِمتها هتنطق عادى .

- أوك ، إديهالى .

- اصبر بس خمسة كدا عشان باباها عندها جوة و عمال يعيّط و مبهدل الدنيا .

- الله يصبر قلبه ، إذا كنت أنا متبهدل و حالى يصعب على الكافر ! ، فمابالك بأبوها بقى ! ، أومال لما يعرف ان انا فى الموضوع و ان أنا اللى فوّقتها و كد هيعمل ايه ! .. ربنا يصبّره .

- ربنا يصبرك و يصبره يا يوسف ، أنا كنت عايزة أشكرك كتير أوى عـ اللى إنتا عملته دا كله ، أنا

عارفه إنك تعبت معاها أوى ، بس ربنا هيجازيك خير إن شاء اللّٰه .

- إنتى هبلة يا بنتى ! ، أنا مش مستنى شكر من حد ! ، شوفى بس إيه الوضع عندها دلوقتى ؟

- أوك ، هيا لوحدها دلوقتى ، تكلمها ناو ؟

- أه ياريت ....

و بدأت المحادثة مره أخرى ، و لكنها لم تأخذ وقتاً طويلا حتى نطقت كلمتها التى تقتله شوقاً لها و حزنا على ما فعله بها و تزيده احتقاراً لنفسه ، قالت (بحبك) ، و لكنه لم يبكى و لم يحزن كالعادة ، بل على العكس كاد أن يطير من الفرحة ، كاد أن ينفجر أملاً بعودتها و نطقها ، فأخذ يتحدث معها طويلا حتى شبع منها او كذلك ظن ، ثم انتقل الهاتف الى يسرا عند موعد الرجوع للمنزل ، فسألها عما سيحدث الآن ، فقالت له ان الطبيب قد سمح له أن يزورها غداً ، و لو استطاع ان يجعلها تفيق فسوف ترجع معهم جميعا إلى المنزل ، و ينتهى الكابوس ، فكان وقع الخبر عليه كمن وجد واحة كبيرة فى وسط الصحراء الكبرى بالمغرب العربى ، لم تسع الدنيا فرحته و لم يستطع ان يكتمها ، فنزل إلى الشارع ، يجرى و يجرى ، كالمجنون ، لا يعرف ماذا يفعل أو

ماذا أصابه ، لا يعرف اين يتجه ولا يريد ان يعرف ، فقط يريد الشعور بالتحرر و الانطلاق من قيوده ، يريد ان يُعلم الدنيا كلها أن كابوسه قد انتهى او على وشك ان ينتهى ، فهو يعلم ان بتول التى تفيق لمجرد سماع صوته فى الهاتف ، لن يصعب عليه ان يُخرجها من غيبوبتها عندما يكون بجوارها و لو اضطر ان يُقبلها ، فلتكن قبلة الحياة لها ، أو تكن ما تكن الأهم هو أن تفيق و يفيق معها هو الأخر .

اتصل بـ يسرا مرة ثانية ، لأنه اغلق الخط فى وجهها فى الأولى دون أن يدرى ، ثم استطرد الحديث معها ...

- طب ايه بقى ؟ هروحلها لوحدى ؟

- لأ أنا أكيد هاجى معاك .

- طب كويس ، امتى بقى بالظبط ؟

- بكره نتقابل فى بنها على تسعة الصبح فى الكافيتيريا اللى جنب الكلية ، و على ما نفطر و نركب المواصلات و نوصل تكون الساعة حداشر كدا .

- ماشى تمام ، أنا هروّح دلوقتى و بكرة هكلمك ، سلام .

و انطلق الى المنزل ، و افترش السرير ، فارداً جسده ، صانعا حركات بهلوانية لم يعرفها منذ سنوات ، فرحته كانت فرحة طفل حصل على كل حلوى الدنيا وحده دون شريك ، فرحة الانتهاء من مصيبة أزلية لم يُتوقع لها الانتهاء ، كمثل فرحة مريض بـ الإيدز بشروه بأنه شُفى تماماً ، فهل لمثل هذه الأمراض ان تزول !

نام يوسف لأول مرة دون أى كوابيس ، بل انه رأى بتول فى منامه و كان حلماً رائعاً قام منه مبتهجاً ، و نومه كان اعمق مما تمنى ، فصلى الى الله ركعتى شكر عندما استيقظ ، ليشكره أنه اذاقه طعم النوم المُريح قبل أن يموت ، بعد ان كان فاقدا الأمل فى عودة النوم من الأساس الى عيونه !

بعد انتهائه من صلاته ، قام و نقع جسده فى البانيو ، ثم نهض لحلاقة ذقنه ، و تهذيب شعره ، ثم أتم لبس أفضل ما يملك من الملابس ، و تعطّر ، ثم حمل هاتفه و علبة السجائر و نزل الى الشارع ، فدخل محل الورود و اقتنى منها مجموعة كبيرة بيضاء اللون تتخللها بعض الورود الحمراء الصغيرة ، يفوح منها عطر ساحر ملفوفة بورق بلاستيك شفاف مربوط بخيط رفيع أبيض كلون الورد .

استقبل يوسف خلال طريقه ليسرا مكالمة من رقم مجهول ، و اذا به طارق يهدده بالضرب بل و القتل اذا حاول الوقوف مع سارة مرة أخرى فى الكلية ، حتى لو كانت مع يسرا كما حدث ، و لما سأله عن السبب فى هذا التهديد العجيب ، قال له أنه و سارة قد ارتبطا ببعضهما ، و وقوفه معها شئ خاطئ ، و قبل أن ينطق يوسف بكلمه ، أعطى طارق الهاتف لسارة ، لتؤمِّن على كل كلامه ، و ليقطع طارق أى شكوك يمكن أن تدور برأس يوسف ، و على الفور أغلق يوسف الخط فى وجهها .

و على عكس المتوقع من يوسف ، فقد كان وقع الخبر عليه عادياً جداً ، فلم يندهش لسارة أو موقفها ، فقد تحجر قلبه ناحيتها تماماً و لم يعد يشعر تجاهها بأى شئ ، ولا جيد ولا سئ ، و لم يحزن أيضاً و لو للحظة من طارق ، فقد لعب معه فى المنطقة الخطأ ، فسارة الآن كارت محروق ولا تمثل ليوسف أى شئ ، فليذهب الاثنان الى الجحيم ، فهو الآن على أعتاب بداية حياة جديدة مع بتول ، لا يريد فيها اى شئ من رائحة الماضى ، سواء سارة أو غيرها ، فكما هو يوسف شخص عميق جداً فى حبه فهو عميق جداً فى نسيانه للخائنين !!

ثم اتجه بعدها الى يسرا و جلس معها حتى انهت تناول طعامها فى مطعم متوسط المستوى ، و لم تمتد يده الى طعام ، فقد أكل و شرب من احلامه و أمانيه ما يكفيه لعدة أيام .

حكى لها عن طارق و ما حدث منه فى المكالمة ، فلم تستغرب رد فعله اطلاقاً ، و قالت " أوساخ ياما يا يوسف "

ثم انطلقا إلى المواصلات .

كان داخل السيارة قد أتم رسم آماله و أحلامه ، بل و مستقبله كله مع بتول ، فسرعان ما سوف يُنهى دراسته فى الكلية و يحصل على وظيفة و يتوجه لخطبتها سريعاً ، ثم يأتى الزواج .

فاللعنة على أيام التسلية و اللعب بمشاعر الناس ، فصحيح ان التجارب الصعبة تغيّر من الناس و عاداتهم و اخلاقهم ، لقد أصبح يوسف الآن انسانا اخر غير ما كان قبل بتول ، فهو يشعر الآن انه أكثر قرباً من الله سبحانه و تعالى ، و أكثر حكمة و هدوءً من السابق ، فالآلام تطهر الانسان ، و هو الآن أطهر انسان على وجه الأرض .

فقد عشق يوسف أكثر تجربة مؤلمة فى حياته ، فما أجمل من تجربة تحولك لإنسان آخر ، و ما أجمل من التعلق بإنسان كان سبباً فى تجربة جعلتك انساناً راضياً عن نفسه .

كان يتمنى يوسف اثناء تقدُمه فى الطريق الطويل لو انه عرف بتول قبل سارة ، لو انه عرفها قبل أى انسانة اخرى ، لو ان التجربة جاءته من فترة ، و لكنها ترتيبات الله ، فهو قدّر له ان يتغير فى هذا الوقت بالذات ، و ما ظنه الخير اكتشف انه الشر ، و ما ظنه الشر اكتشف انه الخير بعينه .

و فى تمام الحادية عشر إلا ربع ، جاءت ليوسف مكالمة مضمونها ان نتيجته قد ظهرت و نجح بتقدير جيد جدا ، فزاد تفاؤله بأكثر من معدلاته الطبيعية و رسم الابتسامة على شفتيه .

و بعدها بخمس دقائق ، استقبلت يسرا مكالمتين ، الأولى مضمونها انها نجحت بنفس التقدير ، و الثانية : " البقاء لله .. بتول ماتت !! "

تمت

اعتذر عن وجود أى أخطاء إملائية

شكر خاص لكل من ساعدنى فى اخراج هذا العمل ...

تصميم الغلاف / د. شوقى محمد

م. مروان الجوهرى

م. أحمد صروة

الكاتب / محمد السلكاوى

نبذة عن الكاتب :

محمد أيمن السلكاوى – طالب بكلية الهندسة بجامعة المنوفية – كاتب قصص قصيرة و مقالات ساخرة و (فيلم أجنبى) هى أول رواية للكاتب .

Facebook: https://www.facebook.com/mohamed.elsalakawy

e-mail: mido_9350@yahoo.com

تابعوا موسيقى و برومو الرواية من صفحة الرواية على الـ جودريدز و يُرجى ترك التعليقات و تصنيف الرواية على صفحتها .

فيلم اجنبى

حينما تتداخل الانسانية و الجنس و الموت
تبدأ الرواية

.. بين الجنس و المخدرات و تعدد العلاقات
.. بين الحبيبة الخائنة و الصديقة الوفية
.. بين الحياة الكاملة و نصف الحياة و الموت

ينهار يوسف !!



عن الكاتب

محمد ايمن السلكاوى , من مواليد 1993
طالب بكلية الهندسة — جامعة المنوفية
كاتب قصص قصيرة , مقالات ساخرة
و "فيلم اجنبى" هى اول رواية للكاتب